الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشاذلي بن جديد – الطارف

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

الخطاب الأسطوري في شعر محمود درويش
" لا أريد لهذي القصيدة أن تنتهي "

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

الميدان: اللغة والأب العربي
الشعبة: أدب عربي
تخصص: أدب شعبي

من إعداد الطالبتين:
✓ نادية حميدي
✓ حورية ضروي

إشراف الأستاذة:
د. ليلى تحري

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
ليلي تحري	أستاذ محاضر–ب-	الشاذلي بن جديد - الطارف -	مشرفا ومقررا
حميد طريفة	أستاذ محاضر–أ-	الشاذلي بن جديد - الطارف -	رئيسا
سهام سلطاني	أستاذ مساعد –أ-	الشاذلي بن جديد - الطارف -	مناقشا

السنة الجامعية: 2024/2023

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشاذلي بن جديد – الطارف

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الخطاب الأسطوري في شعر محمود درويش
" لا أريد لهذي القصيدة أن تنتهي "

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

الميدان: اللغة والأب العربي

الشعبة: أدب عربي

تخصص: أدب شعبي

من إعداد الطالبتان:

✓ نادية حميدي

✓ حورية ضروي

إشراف الأستاذة:

د. ليلى تحري

السنة الجامعية: 2024/2023

شكر وتقدير

بسم الله الرحمان الرحيم

" دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ۚ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ"

صدق الله العظيم الآية (10) – سورة يونس –

نتوجه بجزيل الشكر والامتنان إلى كل من ساعدنا من قريب أو بعيد على إنجاز هذا العمل، وأخص بالذكر الأستاذة المشرفة "ليلى تحري" التي لم تبخل علينّا بتوجيهاتها ونصائحها القيّمة التي كانت عونا لنا في اتمام هذا البحث، التي نتمنى لها النجاح والتوفيق وأدامها الله نبراسا منيرا للبحث والباحثين.

ذ

الإهداء

بسم الله الرحمان الرحيم

" وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ" التوبة /105.

الحمد لله عند البدء وعند الختام لاتمام هذا العمل وتحقيق حلمي

أهدي هذا العمل إلى والدي العزيز "**بوجمعة**"

الذي شجعني دائما للوصول إلى مبتغاي

إلى بسمة الحياة وسرّ الوجود، إلى من كان دعائها سرّ نجاحي

أمي الحبيبة "**حـــدة**"

إلى أخوايا "**محمد**" و" **رضا**" ، وأخواتي العزيزات وأزواجهن

(**سمير، عبد الحق، رضا**)

وجميع الأحفاذ والحفيدات، كما لا أنسى صديقتي العزيزة **" ليندة غرس الله"**

إلى جميع من أمدّوني بالقوة والتوجيه

إلى من دعموني لأصل إلى ما أنا عليه

كما لا أنسى من مد يد العون في اتمام هذا البحث

" خالد بلخيري"

حورية

الإهداء

بسم الله الرحمان الرحيم

" وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ" التوبة /105.

الحمد لله عند البدء وعند الختام لاتمام هذا العمل وتحقيق حلمي

أهدي تخرجي وثمرة جهدي وفيض حبي وفرحتي التي انتظرتها طوال حياتي إلى من مهد لي طريق العلم وكانا الداعمين لي، بالدعاء في ليلهم ونهارهم إلى والديا **العزيزين وزوجي** العزيزي الذي كان لي دعما وسندا طيلة فترة دراستي وإلى زهرات عمري الثلاث " **ياسمين، أنفال وكتكوتي نعمة الرحمان"**

إلى فرحة البيت وقرعة العين الإخوة **" كمال وطارق"** والأخوات **" نعمية، نوال، وفاء، ربيعة، هناء"**، وأبنائهم أعز الناس على قلبي إلى أجدادي رحمهم الله وكل اهلي وأهل زوجي وأقاربنا كل باسمه ومقامة ومعارفي وأصدقائي من قريب وبعيد ومديرتي وتلاميذي الأعزاء إلى مفاتيح صدئت بعيدا عن أبوابها عسى أن يجتمع كل مفتاح بقفله لو بعد حين.

نادية

مقدمة

تعد الأسطورة من أهم الأجناس الأدبية وأوفرها حظًا من طرف الباحثين والدارسين ، في مَشَارق الأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا، على مدى تواجد الإنسان في حلّه وترحاله، فهي الموروث الجمعي الذي شاركت فيه الشعوب قاطبة.وذلك لارتباطها الكبير بالانسان وما واجه من مشكلات، وماطرأ على ذهنه من تساؤلات وصراعات محتدمة مع الطبيعة الصماء، المبهمة وما يحيط به من ظواهرها من غموض وإلتباس كبيرين في تلك الأزمنة البدائية الغابرة، والموغلة في قدم التاريخ، فشكلت الأسطورة أولىالتساؤلات التي طرحها الإنسان البدائي عن نفسه، وحاول على مضمن الإجابة عنها من خلال طابعها الديني وشخصياتها المبهمة وازمنتها الغابرة الضاربة في عمق التاريخ ، ولذلك كانت بمثابت الصافي العميق لجميع الأشكال الأدبية التى ابدع فيها كل من الأدباء والشعراء... وقد عَمَدَ الشعر المعاصر إلى توظيف الأساطير وتفنن في نسجها وحياكتها حياكة مضبوطة لا تمت للخيال بصلة وزين بها شعره، فنشأت علاقة متينة بين الأسطورة والشعر وخَدَمَ كلاهما الآخر.

ومن منطلق هذه العلاقة كان اختيارنا لديوان درويش المحمل بالرموز ولأساطير وذلك لمحاولة الكشف عن تجليات الأسطورة في إبداعه الشعري وفق دراسة بعنوان " تجليات الأسطورة في شعره".

انطلقا في بحثنا هذا من طرح الإشكالية التي مفادها: كيف تجلت الأسطورة في شعر محمود درويش؟

ولماذا لجأ الشاعر في ديوانه الاخير إلى توظيف ذلك الكم الهائل من الأساطير؟

وللاجابة على هذه الاشكالية اعتمدنا في بحثنا على خطة تضمنت فصلين:

أما الفصل الأول النظري فعنوناه ب:خطاب الأسطورة:قضايا ومفاهيم تطرقنا فيه إلى الأسطورة عند الغرب والأسطورة عند العرب، نشأتها مدمجة مع أهم نظرياتها، بالإضافة إلى الحديث باستيفاء عن أهم خصائصها، كما لم ننس أهم وظيفة لها.

وأما الفصل التطبيقي: فتطرقنا إلى علاقة الأسطورة بالأدب وسيميائية العنوان والوقوف على أبرز الأساطير القديمة المشهورة الضاربة في أعماق التاريخ البابلي والأشوري ولجوء الشاعر إلى تكثيف الرموز والدلالات .....إلخ.

اما المنهج المعتمد فكانت الاستعانة بآليات الوصف والتحليل.فاما الوصف فكان في وصف دلات الأسطورة في وقت حله وترحاله، وأزماته، خبياته، انتصاراته، انطوائه وإنكساره وكل ذلك من خلال ما جاء في الأسطورة، واما التحليل فكان بتحليل معاني الرموز والدلالات وربطها بالأماكن والشعب الفلسطيني والأساطير القديمة المعروفة.

وإن كان عنوان بحثنا يبدو للوهلة الأولى انه متداولا من حيث موضوعه إلى أنه لامس تفاصيل دقيقة وموضوعات حساسة يعانيها الشعب الفلسطينى لا ننسى أن هذا الديوان لا زال بكرا لم يَمْتَدُّ لَهُ أيد كثيرة للبحث والتمحيص في ثناياه فهو آخر باكورة أطلقها الراحل وتركها خلفه كرسالة مشفرة للعرب

ولئن كان ذلك اخر ديوان للشاعر الا انه قد ساعدتنا في رحلة البحث مجموعة من المراجع نذكر منها :

-كتاب الأسطورة والمعنى دراسات في الميثيولوجيا والديانات المشرقية " لفراس السواح ".
والأسطورة والوظيفة: " لفراس السواح .

- كتاب أشكال التعبير في الأدب الشعبي لصاحبته " نبيلة إبراهيم".

- مغامرة العقل الأولى لـ دراسة في الأسطورة، سوريا وبلاد الرافدين دار الكلمة، ط11 مكتبة الفكر الجديد وغيرها من المراجع .

ويبقى البحث في ثنايا الاسطورة شائكا وشاقًا ، رغم متعة التجوال بين المدونات والمراجع وخاصة عند محاولتنا الكشف عن أنواع الأساطير االمحملة بالرمز و الايحاء وربطها بالواقع المعيش للشاعر ووطنه.

وككل باحث في بداية الطريق فقد اعترضت طريقنا العديد من الصعوبات والعوائق البحثية القاهرة، التي أولها عدم توفر المصدر ورقيا وبالتالي اللجوء إلى النسخ الإلكترونية منها، صعوبة الديوان الشعري ومراميه، صعوبة إستخراج الأساطير ورموزها ومدلولاتها خاصة لأن الديوان شعري لانثري وهذا زاد في الغموض، اطلاعنا على أغلب الأساطير في نسخ الكترونية وربطها بالمدلولاتها من الشعر و مراميها .

ضيق الوقت وعدم القدرة على تقسيمه بين العمل وإعداد البحث . تزامن اختبارات المتعلمين مع اعداد البحث، عدم التوفيق بين البيت والعمل واعداد البحث وهذا ما أدى إلى ارهاقنا بدنيا وذهنيا .

وأخيرا وليس أخرا لايسعنا إلا أن نحمد الله ونشكره على توفيقه لنا . كما لا يسعنا الا أن نشكر مشرفتنا المتألقة والنشيطة الدكتورة ليلى تحري على صبرها وطول بالها للمضي معنا في هذا البحث فكانت نعم المرشد والموجه والناصح لإكمال البحث .

الفصل النظري

خطاب الأسطورة

قضايا ومفاهيم

أولا: الأسطـورة عند الغرب:

لقد اختلف الباحثون في تعريف الأسطورة إذ نجد بعض العلماء من جعلها تأكيدا لسذاجه الإنسان البدائي، وردها إلى حالة مرضية ترجع إلى طبيعة اللغة لا إلى قصور أو نقص في عقل الإنسان، وجعلها لفترة من الجنون كان على الفكر البشري أن يجتازها.كما قال " ماكس مولر " M. muller

ويذهب **كارل غوستاف يونغ** في تعريفه للأسطورة بأنها تعبيرا عن صراعات اللاّوعي البشري.

ويقول أيضا أن الأسطورة ثنير جوانب النفس الإنسانية، وأنالمجتمع الذي يفقد أساطيره بدائيا كان أو متحضرا يعاني كارثة أخلاقية تعادل فقدان الإنسان لروحه.

أما الفيلسوف الألماني **أرنست كاسيرر** " فيؤكّد أن الأسطورة تمثّل قوة أساسية فيتطور الحضارة الإنسانية، عبر الإنسان من خلال رموزها عن اهتماماته وتطلّعاته، وقد وجد أنّها تكون مع اللغة والفن والدين صورا حضارية، تبدعها طاقة الإنسان الرمزية ".

لقد تعددj وتنوعت تعاريف الباحثين للأسطورة مما يؤكد على أنها حالة من التعقيد والغموض، وهذا ما جعل القديس اوغستين يقول " أنني أعرف جيدا ما هي الأسطورة بشرط ألا يسألني أحد عنها، ولكن إذا سئلت وأردت الجواب فسوف يعتريني التلكؤ". [1]

لا يسعنا إلا أن القول أن المفهوم العام بات واضحا جليا بالنسبة له ولكنه لا يستطيع أن يبحر مرة أخرى في أغوارها للإجابة على أسئلة تتعلق بها لأنه حتما بات مدركا أنه لا يستطيع الإجابة لغموض الموضوع وعمقه وتشعبه بالضرورة سيعتريه الخوف والإرتباك.

[1]–أ. ب كارم محمود، 2007، ص 13.

وهل يمكننا الحزم أن الباحث وصل للإجابة على كل التساؤلات لأنه بخصوص الموضوع؟ أم أنه مازال يبحر في شاطئ الأسطورة ولم ولن يلامس العمق بعد.

إن الأسطورة عند **ليفي شتراوس** claudeleurstrauss تشير دائما إلى وقائع يزعم أنها حدثت منذ زمن بعيد لكن ما يعطي الأسطورة قيمتها العلمية هو أن النمط الخاص الذي يصفه يكون غير ذي زمن محدد، إنها تفسر الحاضر والماضي وكذلك المستقبل، وجوهر الأسطورة لا يكمن في أسلوبها وموسيقاها أو في بنيتها، لكن في القصة التي تحكيها". [2]

- هل يمكن أن تنسب الأسطورة لزمن ومكان محددين؟
- أين تمكن قيمة الأسطورة؟ وما هو جوهرها؟

ومن هنا نستطيع القول أن الأسطورة هي القصة التي تحكي دون تحديد لزمن ومكان معينين وهذا الغموض الذي يعتبرها هو ما يجعل لها قيمة وتشويق ويولد من خلالها حب البحث والتنقيب.

ثانيا:الأسطورة عند العرب:

تذهب **نبيله ابراهيم** للقول " يمكننا القول بإيجاز أن الأسطورة محاولة لفهم الكون لظواهر متعددة أو هي تفسيرله انها نتاج وليد الخيال، ولكنها لا تخلو من منطق معين ومن فلسفه أولية تطور عنها العلم والفلسفة .فيمابعد ومن هنا يمكن القول بأن الأسطورة وسيلة حاول .الإنسان عن طريقها أن يضفي على تجربته الحياتية .طابعا فكريًا وأن يخلع على حقائق الحياة العادية معنا وفلسفيا .[2]

---

[1]—كلودلفي شتراوس: الأسطورةوالمعنى، شاكر عبد الرحمن، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد العراق(د ط)، (د ت)، ص 5، 6.

[2]—نبيلة ابراهيم: أشكال التعبير في الادب الشعبي، ص 23.

ويعرفها **فاروق خورشيد** : الأسطورة كلمة يحيطها سحر خاص يعطي لها من الإمتداد ما لا يتوفر للكثير من الكلمات في أية لغة من اللغات كما أن الاسطورة توحي بالحلم حيث يمتزج بالحقيقه ، وبالخيال وهو يثري واقع الحياة بكل ما يغلقة ويطوله وتهويم الطموح الإنساني نحو المعرفة ونحو المجهول.[1]

أما **طلال حرب** :فيعتبر الأسطورة "نوعامن الأنواع الأدبية التي عرفت منذ الأزل البعيد أي منذ بدأ الفكر البدائي يتأمل هذا الكون وما فيه إنها التعبير عن الحقيقة بلغة المجاز".[2]

ويرى **فراس السواح** الذي يؤكد على الخصوصية القداسية لأسطورة التي تميزها عن باقي المظاهر الإنسانية الأخرى فهي " حكاية مقدسة ذات مضمون عميق يشف عن معان ذات صلة بالكون والوجود وحياة الإنسان.[3]

ومن خلال هذا التعريف نستخلص أن الأسطورة قصة تحكمها مبادئ السرد القصصي، من حبكة وعقدة وشخصيات محافظة بذلك على ثباتها منذ فترة طويلة من الزمن، تناقلتها الأجيال، كما تلعب الآلهة وأنصاف الآلهة الأدوار الرسمية فيها، بحيث تجري أحداثها في زمن مقدس غير الزمن الحالي، تتمتع فيها سلطة عظيمة وقدسية على عقول الناس ونفوسهم.

ويرى **أحمد كمال زكي** أن الأساطير أصل لكل العلوم الإنسانية فهي علم قديم، بل أنه أقدم مصدر لجميع المعارف الإنسانية، ومن هنا ترتبط كلمة أسطورة دائما ببداية الناس وبداية البشر قبل أن يمارسوا السحر كضرب من ضروب العلم والمعرفة.[4]

---

[1]–فاروق خورشيد: الأسطورة عند العرب، ص2.

[2]–طلال حرب، أولية النص، ص 93.

[3]–فراس السواح، الأسطورة والمعنى، دار علاء الدين، دمشق، ط8، 1998. ص 14.

[4]–أحمد كمال زكي، الأساطير، دارسة حضارية مقارنة – دار العودة. بيروت. ط2، 1975، ص 44.

ونستنتج من هذا التعدد والتنوع في مفهوم الأسطورة أنها كل زاخر، فهي فلسفة الإنسان البدائية في تفسير الوجود، لهذا نراها تشمل كل معتقداته وتاريخه، مما جعل الباحثين، يعرفونها من وجهات مختلفة فهناك من فسرها تفسيرا دينيا وهناك من ركز على الجانب النفسي، وهناك من ركز على الجانب التاريخي.

وعلى العموم فالأسطورة هي سؤال طرحه الإنسان البدائي على نفسه وأجاب بما يمتلك من وسائل استمدها من البيئة التي يحيا فيها فافتتح هو بالإجابة وأقنع غيره فأصبحت قناعة يقينية واتسمت بسمة القداسة.

كما يعرفها **مرسيا إلياد** الأسطورة بأنها تروي تاريخا مقدسا، تروي حدثا جرى في الزمن البدائي، الزمن الخيالي، هو زمن (البدايات)، بعبارة أخرى تحكي لنا الأسطورة كيف جاءت حقيقة ما إلى الوجود بفضل مآثر اجترمتها الكائنات العليا، إذن هي دائما سرد لحكاية (خلق): تحكي لنا كيف كان إنتاج شيء، كيف بدأ وجوده، لا تتحدث الأسطورة إلا عما حدث فعلا عندما ظهر في كل إمتلائه، أما أشخاص الأساطير و (كائنات عليا) نعرفهم بما قد ضعوه في الأزمنة القوية، ذات التأثير الفعال وهي أزمنة البدايات (.....)[1]

إذن هل يمكننا القول أنها من المقدسات التي لا تحرف؟وهل اجابت الأسطورة بالفعل على بدايات ومنشأ وجود الأشياء؟ أو هل هي حقائق علمية لا يمكننا التبديل والتغيير فيها.

يمكننا القول أنها نقلت لنا ما نجهله عن العالم البدائي وحقيقة الوجود الإنساني وكل الكائنات كما تنقل لنا حقائق الكائنات عليا نعرفهم من خلال أعمالهم وبطولاتهم.

[1]—مرسيا إلياد، مظاهر الأسطورة: تر، نهاد خياطة، دار كنعان للدراسات والنشر، دمشق، ط1، 1991، ص 10.

ومن هنا يمكننا القول أن الأسطورة، حكاية مقدسة تروي لنا تاريخا مقدسا، لأفعال قامت بها الآلهة أو أشباهها، تشير إلى وقائع قد تكون حدثت منذ زمن بعيد دون إغفال تأثيرها الكبير بحاضرنا ومستقبلنا.

كما أنها تعد سؤال عميقا وبسيطا في الظاهر لكنه محير في العمق، و الاكتفاء والإمساك بمعنى واحد للأسطورة صعب للغاية فعلى اختلافها اختلفت المفاهيم وتعددت والوقوف على تعريف واضح وشامل لها هو بمثابة خنق وقتل لها، لأنها تتملص وبتملصها هذا تنتعش وتستمر وعلى اختلاف تعريفها وتشعبها تضمن تميزها وأسطورتها.[1]

إن الأسطورة لا تستطيع الاكتفاء بمفهوم واحد لأن هذا يعد قتل وقضاء على كينونتها ووجودها ولأن قيمتها تكمن في عمقها وتشعبها واختلافها وهذا ما يميزها عن غيرها من الأجناس ويعطيها أي يضمن لها البقاء والاستمرارية.

فالأسطورة مغامرة العقل الأولى كما عدها: **" فراس السواح"** وهي تجسد هذا القلق الوجودي للإنسان لذا يقول الباحث : " الأسطورة نظام فكري، استوعب قلق الإنسان الوجودي، وتوقه الأبدي لكشف الغوامض التي يطرحها محيطه، والأحاجي التي يتحداه النظام الكوني المحكم الذي يتحرك ضمنه، إنها إيجاد النظام حيث االنظام، وطرح الجواب على ملحاح السؤال، رسم لوحة متكاملة للوجود، لنجد مكاننا فيه ودورنا في إيقاعات الطبيعة إنها الأداة التي تزودنا بمرشد ودليل في الحياة، ومعيار أخلاقي في السلوك، إنها مجمع الحياة الفكرية، والروحية للإنسان القديم".[2]

وعليه نستطيع القول أن الكاتب غاص في أعماق الفكر الإنساني القديم، وعبر عما يختلج في نفسه من قلق صاحب الوجود الإنساني وحاول الإجابة عن تساؤلاته وربطها بالغيبيات والآلهة.

إن إشكال تعدد التعاريف يرجع إلى عاملين جوهريين هما:

---

[1]–أمال ماي: تجليات شهر زاد في الشعر الجزائري، ص 25.

[2]–فراس السواح، مغامرة العقل الكبرى دراسة في الأسطورة، دار الكلمة للنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1981، ص15.

العامل الأول: إلتباس مفهوم الأسطورة مع أجناس أخرى كقصة المأثر أو القصة البطولية، المأثورة (la légende) والحكاية الشعبية (le conte)، الملحمية (l'epopeé) الخرافة (la fable).[1]

فالتشابه القائم بين الأسطورة والأجناس المعرفية الأخرى (قصة المأثر، والحكاية الشعبية) يجعل منها جنسا ملتبسا غامضا يتداخل مع باقي الّأجناس بشكل مثير ومعقد.

أما العامل الثاني: فيحدد لنا المجالات التي تتقاطع فيها الأسطورة مع حقول معرفية كثيرة، كالأدب الشعبي والأنثربولوجيا، وعلم النفس وعلم الاجتماع والتاريخ وعلم الأديان، إن إتساع مجالها وتقاطعها مع علوم عدة، ومعاملتها من جوانب عدة ومحاولة الإفادة منها كل حسب تخصصه جعلها جنسا غنيا بالتأويلات مع حقول معرفية أو أجناس أدبية مختلفة هو في الحقيقة إثراء لهذا الجنس وفتحه على لغة القراءة والتأويل.

ثانيا: نشأة الأسطورة :

اختلفت الآراء ووجهات النظر حول نشأة الأسطورة، فنهاك من ينسبها إلى الظواهر الطبيعية، الفلكية، وهناك من ينظر لها نظرة دينية مقدسة، وآخرون يرون أنها امتداد لتاريخ جماعة بشرية أو رمزيتها.وأكثرهم اختلافا هم علماء التاريخ والأنثربولوجيا اللذين توصلوا لتقسيمها إلى خمس نظريات:

أ/ النظرية الدينية:

وفيها انطلقا من رائد الأنثربولوجيا الحديثة **جيمس فريز** JAMES FRAYES في كتابه "الغصن الذهبي " الذي يبين لنا أن الأسطورة استمدت من الطقوس الدينية، بعد مرور زمن طويل

[1]—محمد علي السلايمي: الأسطورة في شعر المتنبي، نقلا عن: محمد الامين بحري الأسطوري التأسيس والتجنيس والنقد، دار الأمان، الرباط، منشورات الأختلاف الجزائر، العاصمة، منشورات صفاف، بيروت، ط1، 2018، ص 35.

على ممارسة طقس معين، وفقدان الاتصال مع الأجيال التي أسسته، كما أن الطقس يكون خاليا من المعنى، ومن الغاية أيضا، كما تخلق الحاجة لإعطاء تفسير له، وهنا تأتي الأسطورة، لإعطاء تبرير لطقس مبتجل قديم لا يريد أصحابه نبذه أو التخلي عنه". [1]

نستطيع القول أن أهميتها نابعة من أصلها المستمد من الطقوس الدينية البدائية التي لا نستطيع التخلي عنها أو هجرها من جديد دائما.

يمكننا القول أن "**جيمس فريزر** " يعيد منشأها إلى الممارسات الطقوسية لدى الأجيال الأولى، إذ يفقد الطقس خصوصيته والهدف منه يعد زمن من ظهوره، فيمنح له تفسيرا آخر يؤدي إلى نشأته.

ومنها نشأت الأسطورة الكونية (الطقوسية) وذلك في تصنيف **نبيلة إبراهيم** " التي رأت أن الدافع الأول وراء النشأة الأولى هو التأمل في نظام الكون ومحاولة تفسيره، حيث أن الإنسان البدائي كان عاجزا، وعلى خطى هذا الرأي نعثر على رأي أخر يذهب إلى أن الأسطورة تمثل تخلف لغويا لأن الإنسان القديم كان عاجزا عن التعبير باللغة المجردة، ثم صاغ أفكاره في خيالات أسطورية، وهذا الرأي وذاك لهما ما يعارضهما من شواهد أسطورية تقضي بأن الكون بنظامه الطبيعي قد شغل الإنسان القديم، وأن هذا الإنسان عبر عن تصوره للظواهر الكونية من خلال اللغة التصويرية والتمثيلية" [2]

فنظام الكون وتركيبه شكل لغزا كبيرا أزعج الإنسان البدائي، فعمد على تفسير الغوامض من خلال عدة منطلقات ومذاهب ومناحي متعددة ، محاولا الكشف عن خفايا الكون وظواهره، فكان الوليد الطبيعي لهذا التفسير الأسطورة الكونية(الطقوسية).

---

[1]—معتز نديم الحجل: الأسطورة تعريفها، أصلها تصنيفها، مجلة المعرفة، سوريا 333.

[2]—المرجع نفسه، ص 23 – 24.

ب– النظرية التاريخية :

يرى روادها أن العديد من أبطال الأساطير قاموا بأعمال خارقة عظيمة، وبعد عقود من الزمن أضاف إليها خيال الشعراء، من مميزات غرائبية وعجائبية مما جعلتها تنتمي إلى الأسطورة.

فهي تعيد نشأة الأسطورة إلى التاريخ البشري المقدس " فالأسطورة من هذا المنطلق هي تاريخ مقدس؟

وبالتالي تاريخا حقيقيا للحوادث البشرية في عهودها الغابرة والسحيقة، كالأساطير التي تتكلم عن العادات والتقاليد ، والقيم والتي تتكلم عن المعتقدات الدينية أو على الحروب والانقلابات فما هي إلا تاريخا للبشرية الأولى. [1]

لا يسعنا إلا القول أنه يمكننا التعرف على عادات وتقاليد الأمم العابرة (الأولى) من خلال أساطيرها، لأنها بالفعل قد احتوت على احداث وحروب وانقلابات حدثت فعلا في التاريخ ... الخ

وكما يرى الفرنسي " **مرسيا إلياد** " marrceaeliade أن الأسطورة " هي ذكرى حدث تاريخي، أو شخصية حقيقية، لا تدوم في الذاكرة الشعبية أكثر من قرنين أو ثلاثة وتعزى تلك الظاهرة إلى أن الذاكرة الشعبية تجد صعوبة في الاحتفاظ بالأحداث الفردية... عبارة عن تصور بطولي لشعبه.

وإذا كان أوزيرس قد تمزق جسده ودفنت أشلاؤه في مختلف أنحاء مصر، فذلك رمز لخصوبة أرض مصر وانتشار زراعة الحبوب"[2]

من هذا المنطلق يمكننا القول أن الأسطورة ما هي إلا ذكريات لأحداث حملها التاريخ الشخصيات حقيقية، لا يمكن للذاكرة الفردية الاحتفاظ بها لمدة طويلة، وارتباط الشخصيات

---

[1]–راضية بوبكري: الأدب والأسطورة، اعمال ملتقى الأدب والأسطورة، كلية الادب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باجي مختار، منشورات فجر الأدب العام والمقارن، عنابة، 2007، ص 16.

[2]– معتز نديم الحجل: الأسطورة تعريفها، أصلها تصنيفها،ص 56.

بالرمزية في بطولاتهم وطريقة عيشهم وحتى وفاتهم.ومنها نشأت الأسطورة الحضارية : التي تكونت من خلال مسيرة الإنسان الذي مر بمراحل حضارية مختلفة.ابتدءا من العصر البدائي أو الهمجي إلى أن اصطنع لحياته شكلا منظما ماديا واجتماعيا، فإنه لا بد أن يكون قد عبر هذا التغيير في أساطيره، وهي تكشف عن صراع الإنسان مع الحياة لإصراره على الانتقال من المرحلة الطبقية إلى المرحلة الحضارية".[1]

نستخلص أن الأسطورة هي مرآة عاكسة لحياة الإنسان وصراعه مع الطبيعة من أجل الانتقال إلى التحضر." فالإنسان في بادئ الأمر كان يعيش في الطبيعة سيره سير الحيوان، فقد تمكن من صنع القوس والرمح ويصطاد بهما، لأنه كان من قبل ينهش الفريسة مثله ويأكلها، فلما اكتشف النار استعملها في الطهي، وهكذا أصبح يميز بين النيئ والمطهو من جهة، وبين الفاسد والصالح من الطعام" [2]

إن هذه النقلة النوعية من المرحلة الطبيعية إلى المرحلة المتحضرة تعكس لنا قدرات الإنسان الذهنية، فالله قد وهبه العقل ليميزه عن الحيوان، هذا ما جعل الإنسان يدخل في تحد دائم مع الطبيعة، ليتمكن من تنمية قدراته الذهنية ومواجهة الحياة بصعوباتها وتقلباتها، وبهذا حقق الانتقال إلى مرحلة التحضر.

ج– النظرية التعليلية : يعيد رواد هذا الاتجاه نشأة الأسطورة إلى الظواهر الكونية التي أثارت انتباه الإنسان وتفكيره فالعالم **ف.فونت** F ,Font يرى أن هذا الإنسان قائم بتكوين تصورات روحية

[1]–نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص 30.

[2]–ينظر المرجع نفسه، ص 31.

وسحبها أي أسقطها على الطبيعة.إذن فالارواحية البدائية هي تعبير فكري عن حالة الإنسان البدائية.[3]

نستطيع القول أن الإنسان كان نبيها، رغم بساطة تفكيره وعيشه وعمد إلى ربط التصورات وجمعها والبحث عن إجابات.

وهناك من يرى أن كل عناصر الطبيعة كالماء والهواء والنار تتخذ هيئة كائنات حية روحية، تبنى عليه الأساطير.[1]

" ومنهم من يرى أن الأسطورة ارتبطت ببداية الإنسان، عندما كان يمارس السحر والشعوذة والطقوس الدينية، لأجل التعايش مع الطبيعة وتفسير ظواهرها الغريبة".[2]

لماذا لجأ الإنسان إلى الاستعانة بالسحر والشعوذة ؟وهل توصل إلى إجابات على تساؤلاته ؟

"فمنذ نشأة لإنسان على هذه البسيطة، وهو يحاول تفسير الظواهر الطبيعية عن طريق (الشعوذة)، وحاول ربط تحليلاته وتفسيراته باللامعقول واللامنطق، لأنه لم يستطع الوصول إلى تفسيرات علمية مقنعة".[3]

لقد عجز الإنسان البدائي عن تفسيره للظواهر الكونية بالمنطق والعمل، فعمد إلى اللامعقول، اللامنطق، للإجابة عن تساؤلات و منه نشأت.

ج- النظرية الرمزية :

---

(3)–الإرواحية: هي علم التصورات الروحية، هي علم الكائنات الروحية العامة: نقلا عن: معتز نديم الحجل، المرجع السابق، ص 50.

(1)–المرجع السابق، 50.

(2)–سلسلة نطق السراة، الأسطورة، توثيق خضاري، ص 31.

(3)–نضال صالح : النزوع الأسطور في الرواية العربية المعاصر، منشورات إتحاد الكتاب العرب مصر(د ط) 2001، ص12.

يرى روادها أنها مزيج بين الحقائق الأدبية أو الفلسفية أو التاريخية وذلك بشكل رمزي، لكن سرعان ما استوعبت بعد سنوات على أساس ظاهرها الحرفي.[1]

"وعلى هذا فإن "كرونوس" في الميثولوجيا الإغريقية، والذي يلتهم أطفاله بعد أن بلغته نبوءة أن ابنا له من صلبه يستطيع به من على عرشه وهذا يرمز إلى الزمن الذي يصبح القول فيه :

الزمن الذي يطوي أجزاءه طيا".

عندما أحس الإنسان البدائي بالعجز لتفسير ما يدور في الكون لجأ للرمز للإجابة على هذا الغموض فطرح أسئلة : إلى ما ترمز الغيوم- النار- الموت ... الخ، واستطاع الإجابة بايجابات بسيطة : فالنار ترمز للدفء والمحبة والعدالة، وكذالك الغيوم يمكن أن تدلنا على نزول الغيث في ساعات قادمة...).

ومن هنا يمكننا تعريف الرمز على أنه "كل ما يحل محل لأي شيء آخر في الدلالة عليه عن طريق الإيحاء والرمز الذي تتشعب معانيه حسب الزمن والمكان وطريقة استخدامه",[2]

فالرمز هو المفتاح لفهم الغامض، وتذليل الصعب وهل أجاب الرمز على هذا الغموض بطرق علمية وعقلية؟

يرى المؤرخ الإيطالي " فيكو" (vico)» "أن أبطال الأسطورة رموزا للمجتمع الذي يمثلونه، وفي فترة زمنية معينة، "فجلجامش مثلا هو .... فالأوائل اخترعوا أساطيرهم لأنهم اختلفوا في دينهم وتأثروا بجهلهم في تفسير قوى الطبيعة التي نسبوها للغيب والقوي الخفية، ولما نضج العقل اعتمدوا العلم بدلا من الأساطير".[3]

---

[1]-معتز نديم الحجل: الأسطورة تعريفها، أصلها تصنيفها،ص 55، بتصرف.

[2]-المرجع نفسه، ص 55، بتصرف

[3]- محمد عجنية: موسوعة أساطير العرب عند الجاهلية دلالاتها، (د د ت) لبنان ، 1994، ص 41.

طرح الإنسان البدائي أسئلة كثيرة : ما هو السر الذي يساعدنا على فهم الغامض، وبعيد عن السحر والشعوذة والآلهة أشباهها ؟

هل وصل الإنسان البدائي من خلال ابتداع الرمز إلى مبتغاه من الأسطورة ؟

ومنها نشأت الأسطورة الرمزية : ويرى روادها أنه فيها تتحول القوة إلى رمز مجسد وتخلع صفات الإنسان على الآلهة أو الأبطال الخرافيين، وتمتزج في بعض قدرات الإنسان المحدودة بطاقات هائلة تؤكد قدرته على المواجهة والتغلب عليه ".[1]

في هذا النوع عدت بعض الشخوص التي تحمل سمات خارقة رموزا يحتذى بها، وقد ترقى إلى مصاف الآلهة أو الأبطال الخارقين .

ويذهب "محمد عجينة" في كتابه المجنون " موسوعة أساطير العرب بطرح فكرة " جيمس فريز " james Frazer صاحب كتاب " الغصن الذهبي" بأن الأسطورة علما بدائيا يهدف إلى تفسير الحياة والطبيعة والإنسان وأنها متأخرة عن الطقوس".[2]

سعى الإنسان البدائي دائما إلى تفسير حياة الإنسان ومحيطه بعيدا عن الطقوس الدينية.

د–النظرية النفسية :

ومن أهم روادها " **سيغموند فرويد** Sigmund Freud حيث يرى "أن الأسطورة في أصلها ما هي إلا تعبيرا عن حالات نفسية، إيمانا منه أن أي عمل إنساني بواعثه تعود إلى الغرائز، وبالتالي فهي تعبر عن المكبوتات والمحزونات النفسية .أي أنها وسيلة مساعدة توضح لهم بنية ونظام الحياة لكل فرد". ولا وعي الجماعة.[3]

---

[1]–فاروق خورشيد، أديب الأسطورة عند العرب، جذور التفكير وأصله الإبداع، ص 23.

[2]–راضية بوكري الادب والأسطورة، ص 16.

[3]– معتز نديم الحجل: الأسطورة تعريفها، أصلها تصنيفها،ص 61.

إن محاولة **فرويد** ربطه للأسطورة بالغرائز التي كانت تسير الإنسان البدائي الذي لم يستطع تفسير ما يجري حوله، لكن الغرائز تسير الحيوان لأن الله جرده من العقل وميز البشر بالعقل، ليختاروا التفسير المنطقي العقلاني.

يذهب **فرويد** في موضع آخر في كتابه الموسوم ب (تفسير الأحلام) بأن الأسطورة تشبه الحلم، من حيث أن أحداثها تقع خارج حدود الزمان والمكان، أما أفعال أبطالها فهي تحدث بعيدة عن رقابة العقل الواعي[1]

إن فرويد يشبه الأسطورة بالحلم، ونحن نعلم أننا نحقق أحلامنا الموجود في ألاوعي، ومن هنا نستطيع أن نقول أن الأحداث التي تقع في الحلم والأسطورة لا يمكننا أن نقيدها لا بالزمان أو بالمكان وإنما تبقى بعيدة عن اللاوعي.

من خلال النظريات السابقة الذكر نصل إلى نتيجة مفادها تعدد النظريات والاتجاهات التي تناولت نشأة الأسطورة وكل نظرية حاولت إعطاء تفسير لجميع الظواهر المحيطة، وبالتالي فهي شكلت الماضي والحاضر والمستقبل، وحاولت المحافظة على الذاكرة الإنسانية، وأصبحت حقلا معرفيا قائما بذاته أدى إلى إثراء هذا الجنس الأدبي الذي تداخلت فيه أجناس وحقول ونظريات معرفية كثيرة ومتعددة.

رابعا: خصائص الأسطورة:

يرى فراس السواح أن هنالك ثمانية خصائص تميز النص الأسطوري عن غيره من الأجناس وهي :

- من حيث الشكل، الأسطورة هي قصة، وتحكمها مبادئ السرد القصصي من حبكة وعقدة وشخصيات وما إليها ، وغالبا ما تجري صياغتها في قالب شعري يساعد على

[1]—معتز نديم الحجل، المرجع نفسه،ص 61,

ترتيلها في المناسبات الطقسية وتداولها وشفاها . كما يزودها بسلطان على العواطف والقلوب لا يتمتع به النص النثري .

- يحافظ النص الأسطوري على ثباته عبر فترة طويلة من الزمن وتتناقله الأجيال مادام محافظا على طاقته الإيحائية بالنسبة إلى الجماعة، فالأسطورة السومرية (هبوط انانا إلى العالم الأسفل) التي دونت الكتابه خلال النصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد قد استمرت في صياغتها الأكادية المطابقة تقريبا للأصل السومري حتى أواسط الألفية الأولى قبل الميلاد،غيران خصيصة الثبات هذه لا تعني الجمود أو التحجر لأن الفكر الأسطوري يتابع على الدوام خلق أساطير جديدة ولا يجد غضاضة في التخلي عن تلك الأساطير التي فقدت طاقتها الإيحائية أو في تعديلها.
- لا يعرفِ للأسطورة مؤلف لأنها ليست نتاج خيال فردي ، بل ظاهرة جمعية يخلقها الخيال المشترك للجماعة وعواطفها ولا تمنع هذه الخصيصة الجمعية للأسطورة من خضوعها لتأثير شخصيات روحية متفوقة تطبع أساطير الجماعة يطابقها وتحدث انطباعا وثيقا دينيا جذريا في بعض الأحيان.
- تلعب الآلهة وأنصاف الآلهة الأدوار الرئيسية في الأسطورة، فإذا ظهر الإنسان على مسرح الأحداث كان ظهوره مكملا رئيسيا.
- تتميز الموضوعات التي تدور حولها الأسطورة بالجدية والشمولية، وذلك مثل التكوين والأصول، الموت والعالم الآخر، معنى الحياة وسر الوجود، وما إلى ذلك من مسائل التقطتها الفلسفة فيما بعد إن مهمها واحد لكنهما تختلفان في طريقة التناول والتعبير، فبينما تلجأ الفلسفة إلى المحاكمة العقلية وتستخدم المفاهيم الذهنية كأدوات لها فإن الأسطورة تلجأ إلى الخيال والعاطفة والترميز وتستخدم الصور الحية المتحركة.

- تجرى أحداثها في زمن مقدس غير الزمن الحالي، ومع ذلك فإن مضامينها بالنسبة للمؤمن أكثر صدقا وحقيقة من مضامين الروايات التاريخية، فقد يشك هذا المؤمن بأية رواية تاريخية، ويعطي لنفسه الحق في تصديقها أو تكذيبها.

- ترتبط الأسطورة بنظام ديني معين وتعمل على توضيح معتقداته وتدخل في صلب طقوسه، وهي تفقد كل ومقوماتها كأسطورة إذا انهار هذا النظام الديني، وتتحول إلى حكاية دنيوية تنتمي إلى نوع آخر من الأنواع الشبيهة بالأسطورة.
- تتمتع الأسطورة بقدسية وبسلطة عظيمة على عقول الناس ونفوسهم، إن السطوة التي تمتعت بها الأسطورة عظيمة على عقول الناس ونفوسهم في الماضي، لابدايتها سوى سطوة العلم في العصر الحديث، فنحن اليوم نؤمن بوجود الجراثيم وبقدرتها على تسبب المرض، وبأن المادة مؤلفة من جزئيات وذرات ذات تركيب معين، وبأن الكون مؤلف من مليارات المجرات ... الخ وذلك لأن العلم قد قال لنا ذلك وفي الماضي آمن الإنسان القديم بكل العوالم التي نقلتها له الأسطورة، مثلما تؤمن اليوم وبدون نقاش بما ينقله لنا العلم والعلماء، وكان الكفر بمضامينها كفرا بكل القيم التي تشد الفرد إلى جماعته وثقافته أو فقدانا للتوجه السليم في الحياة.

وظيفة الأسطورة:

"إذا كان العلم والفلسفة قد نهضا بوظيفة تنظيمية فإن الأسطورة لا تخرج على نطاق الوظيفة التي يؤديها كليهما بل وأكثر من ذلك فإن كل العلوم ولدت من رحم الأسطورة" [1]

ومن هنا نستطيع طرح السؤال التالي هل تولد قطيعة بين الفلسفة والعلم والأسطورة أم أن كلاهما يكمل الآخر ويبعث فيه الحياة من جديد.

"وفي الحقيقة فإن الفلسفة والعلم ولدا من رحم الأسطورة لأنها تعمل نفس عملها ، لذلك .فالا سطوره في مجتمعاتنا القديمة والتقليدية تلعب نفس الدور الذي تلعبه الميتافيزقيا في الثقافات المتطورة التي أعلت من نشأتها الفلسفة رغم عدم عنايتها لتكوين المفاهيم والمصطلحات التي أشهرت بها الميتافيزقيا."

ومن هنا يمكننا القول بأنه إذا كان العلم يعتمد على التفكير العقلي المنطقى فإن الأسطورة تعمل على التحقيق جامدة من سلطة النزعة العقلانية والتي ينظر إلى الكون على أنه قوانين جامدة غير متحركة لان الذات الإنسانية تجتاح للمزاوجة بين العقل والخيال والعالم بطبيعته قائم على فكر التناقض.

وقد حاول **تروسلاف مالينوفسكي** أن يستخلص وظيفتها في المجتمعات البدائية منظور إليها على أنها ليست تفسيرا يراد منه تلبية فضول علمي، بل هي حكاية تعيد الحياة إلى حقيقة أصلية وتستجيب لحاجة دينية عميقة،وتطلعات أخلاقية، وواجبات وأوامر على المستوى الاجتماعي وعليه نلخص أهم وظائف الأسطورة في:[2]

- تحامي على المبادئ الأخلاقية وتفرضها.

---

[1]– فراس السواح. الأسطورة والمعنى، دراسات في الميثيولوجيا والديانات المشرقية، ص 19 – 20 – 21.

[2]– مرسيا إلياد، مظاهر الأسطورة، ذار كنعان للدراسات والنشر، دمشق، ص ب، 443، ص 22.

- تضمن فاعلية الاحتفالات الطقسية.
- تنتج قواعد عملية الاستعمال الإنسان.
- الأسطورة إذا عنصر جوهري في الحضارة الإنسانية ليست تخريفا لا طائل من وراءه بل حقيقة حية لاينفك يلجأ إليها الإنسان.
- ليست عرضا لمشاهد مصورة، بل صياغة حقيقة للدينالبدائي وللحكمة العملية.
- جميع القصص (الأساطير) عند الأهليين تعتبر عن حقيقة أصلية أكبر وأغنى من الواقع الراهن.

حقيقة تعين الحياة الفورية وفعاليات البشر ومصادرهم والمعرفة التي يمتلكها الإنسان عن هذه الحقيقة تكشف له معنى الطقوس والأعمال على الصعيد الأخلاقي وبالأسلوب الذي ينبغي أداؤها.[1]

كانت هذه أهم الوظائف التي تنهض بها الأسطورة، دين الإنسان البدائي ولا يسعنا في النهاية إلا القول بأن الإنسان لا يستطيع الاستغناء عن ماضيه (الأسطورة التي كانت بمثابة المفتاح السحري الذي يساعده على الخروج من دوامة التساؤلات وذلك رغم التطور التكنولوجي الصارخ الذي وصل إليه الإنسان والعالم الحديث .

[1]–مظاهر الاسطورة مرسيا اياد، ص 22-23، ط1، 1991، دمشق، ص ب 413، دار صنعان.... للدراسات والنشر.

الفصل التطبيقي

تجليات الأسطورة في ديوان محمود درويش " لا أريد لهذي القصيدة أن تنتهي"

تجمع الدراسات التي تناولت الأسطورة عن العلاقة التي تجمعها بالأدب . فقد ولد الأدب من رحم الأسطورة وتغذت الأسطورة بدورها من معين الأدب. وانطلاقا من هذه العلاقة الناشئة ولد ما يسمى بالأسطورة الأدبية.

لم يستطع الأدب التخلى عن توظيفه للأسطورة ، ويعود الفضل في استمراريتها لتوظيف الأدب لها .لأنها تربطها علاقة جدلية يحكمها المد و الجزر ولأنه ترعرع في أحضانها وكانت ولا تزال ملهمة الأدباء والشعراء كما تعد من أهم رموز الحداثة الأدبية.فهي الأم الرؤوم والرحم الولود لكل وانطلاقا من هذه العلاقة الوطيدة الناشئة بين الأسطورة والأدب فإننا سنخصص دراستنا في هذا الفصل للحديث عن تجليات الأسطورة عنده ونشير في الوقت نفسه الى ظاهرة الغموض التي طبعت شعره على العموم سيما هذا الديوان الأخير محط الاشتغال.

يُعتبر الغموض جزء أساسيا من الأساطير حيث يتم استخدامه بخلق جو من التشويق والإثارة وجعل الأساطير أكثر جاذبية للقراء ويتم استخدامه لخلق أسئلة حول الأحداث و الشخصيات والمكان، ولتشجيع القارئ على الإكتشاف و معرفة المزيد وحل الألغاز المتعلقة بها لأن وظيفة الفنان هي تعذيب القارئ وكلما قدم الفنان خطاطًا مشفرا لقرائه كلما جعلهم يتمسكون بحبائل النص لتفكيك شفرات ذلك النص.

من هذا المنطلق سنسعى لاستخراج أهم الأساطير وكشف مدلولاتها ، ومحاولة ربطها بالسياق العام للقصيدة الدرويشية من خلال

أولا: سيميائية العنوان

يعتبر العنوان المفتاح السحري للولوج إلى عالم النص وقديما قيل الكتاب يقرأ من عنوانه، لذا فالعنوان يعد مفتاحا إجرائيا في التعامل مع النص في بعدية الدلالي والرمزي[1] ،كما عد بمثابة التسمية التي تلتصق بسلعة أو بضاعة ما ويجب أن تكون هذه التسمية قوة إشعاعية إشهارية جارفة، لأن الهدف من العنوان هو الإبهار والتأثير لحمل القارئ على اقتناء الكتاب – السلعة[2] ،ولعل القارئ يدرك أن عنوان يرتبط أشد الارتباط بالنص لأنه يعنونه فهو إنشئنا نص مختصر يتعامل مع نص كبير، يعكس كل أغواره أبعاده، هذا ما نجده في ديوان محمود درويش.

لا أريد لهذى القصيدة أن تنتهي– فالعنوان يثير فينا نوعا من الغموض والتساؤل على السر الكامن من وراء هذا الوضع ، والدلالة التي وضع من أجلها، فيقودنا هذا التساؤل إلى معرفة مضمون هذا الديوان **"لا أريد لهذى القصيدة أن تنتهي"** الديوان الأخير لمحمود درويش الذي صدر بعد وفاته، فعنوان القصيدة مثير وبؤرة الإثارة فيه ينبثق من الدلالة عن الفعل المضارع –أن تنتهي– فما هي هذه القصيدة التي لا يريد لها الشاعر أن تستنفذ طاقات القراءة لا بدلا لنا من الإشارة إلى أن العنوان كعادة درويش مأخوذ من العناوين الداخلية للمجموعة، فالديوان ينقسم إلى ثلاثة حركات شعرية، حيث يشكل القسم الثاني منه من قصيدة "أريد لهذى القصيدة أن تنتهي"، ليكون عنوانا رئيسا للديوان فهو أمر يومئ إلى أهمية هذه القصيدة وقوتها من بين عناوين المجموعة وبالتالي أفضلية هذا العنوان على عنواني القسم الأول **"لاعب النرد"** والقسم الثالث **"ليس هذا الورق الذابل إلا كلمات"** والسؤال الذي يطرح نفسه **لماذا لا يريد الشاعر لهذه القصيدة أن تنتهي ؟.**

لا أريد لهذى القصيدة أن تنتهي– هو عنوان القصيدة المطولة التي نحن بصدد دراستها تمثلت في جملة فعلية منفية، أحد عناصرها جملة فعلية لهذى القصيدة أن تنتهي جاءت في محل نصب مفعول به للفعل أريد، فقدم المتمم **"لهذى القصيدة"** في المصدر المؤول على الفعل "تنتهي"

---

[1]– عبد الرحمان طنكول، خطاب الكتاب في رواية مجنون الألم، مجلة كلية الآداب والعلم الانسانية، يقاس العدد، 1989/9 ص 36.

[2]– الطيب بودربالة، قراءة في كتاب سيميائية العنوان للدكتور سيام قطوس، قسم الآداب العربي، جامعة باتنة، ص 72.

والأصل " **أن لاتنتهي هذى القصيدة**"، والغرض من ذلك كان تعبيرا عن الاهتمام بالفاعل أكثر من الاهتمام بالفعل للدلالة عليه، فالشاعر لا يريد لحياته أن لا تنتهي فهو يريدلها الخلود والحلم الذي خصه في وصيته التي بين أيدينا والتي ستبقى أفقا مفتوحا إلى الأبد.

وفي عنوان القصيدة يضيف الشاعر حرف الجر "**اللام**" الاسم الإشارة (**هذه**).فكانت الحروف لتأكيد المعنى وتقويته على رأي بعض العلماء 1 كان بإمكان الشاعر أن يقول: "**لا أريد أن تنتهي القصيدة**" بدلا من "**لا أريد لهذى القصيدة أن تنتهي**"، لكن محمود درويش أراد أن يخرج عن المألوف ليؤكد على أنه مهتم بالقصيدة لا غير، فإنه لا يريد لهذه القصيدة أن تنتهي، بل يريد لها البقاء والاستمرارية والخلود إلى الأبد، كأن هذه القصيدة رحلة جلجامش في البحث عن الخلود والأمل الذي يبعث من جديد.كذلك هي قضية شعب يبحث عن حلول لقضيته التي لم تنتهي، هي قضية شعب أراد الحياة تحت ظل الحرية رافضا للعبودية والعيش تحت ضغط اليهود، شعب اختار الحرب والمقاومة بدل العيش تحت رحمة الإسرائيليين، شعب أراد أن يكمل نضاله وكفاحه من أجل استرداد وطنه.

فلسطين هي الأرض التي تعلمنا منها دروس الصمود والتضحية، وهي نبراس يضيء درب الحرية، قضية شعب آمن بأن الحرية لا تهدى بل تأتي بالصمود والثبات في وجه العدو، فمهما طالت الليالي السوداء ستشرق شمس الحرية في سماء فلسطين.

من خلال قراءتنا للقصيدة لاحظنا أن الشاعر كرّر عبارة"**لا أريد لهذى القصيدة أن تنتهي**"[1]، وتكرار هذه العبارة يعد مظهرا أساسا في هيكلة القصيدة الحديثة، ومرآة عاكسة لكثافة الشعور المتعالي في نفسية الشاعر وإضاءة معينة على تتبع المعاني والأفكار.[2]

فحياة الشاعر في هذا الديوان الأخير مبنية على تخيل العدم، فهل يا ترى الشاعر في تلك النزعة العدمية يكون تأثر بتلك المدارس العدمية والعبثية، سؤال الوجود والكينونة الذي يعتري الشاعر

---

[1]– محمد السوفي: البنية اللغوية في النص السبقري، ص73

[2]– فهد ناصر عاشور: التكرار في شعر محمود درويش، ص101.

والذي لطالما كان سؤالا مركزيا عند الفلاسفة والمفكرين ما بعد الحداثيين من أمثال هيدغر، هو نفسه السؤال الذي يراود الشاعر ولم يستطع الإجابة عنه، فبالتالي يبقى سؤالا ينتظر الإجابة

إن آلية التكرار التي وسمت ديوان الشاعر مرتبطة ارتباطا وثيقا بنفسية الشاعر الذي نجده بات قلقا على شعبه ووطنه، فكانت عبارة **"لا أريد لهذي القصيدة أن تنتهي"**، تكررت أربع مرات، فهو يريد لها الاستمرارية في أذهان القرّاء، فهو يريد لها الخلود كيف لا وهي قضية شعب عاش كل أنواع الظلم والمعاناة والاستبداد والاستعباد والاضطهاد، شعب ظل صامدا متمسكا بأرضه وحقوقه، وصمّم على مواصلة نضاله حتى تحقيق أهدافه وهي الحرية والاستقلال والعيش في أمان وسلام.فهو الشاعر الذي لطالما تغنى بالوجود بالهوية الوطنية التي كانت معروفة، وما قصيدته إلا بطاقة هوية إلا دليل على تلك الذات الوجودية

من العنوان الذي ينفتح على العديد من القراءات والتأويلات إلى تجليات الأسطورة في شعر الشاعر

ثانيا:تجليات الأسطورة في الديوان:

1- أسطورة الخلق والتكوين:

إن دراستنا للنصوص الأسطورية المتفرقة أعطتنا التسلسل الأسطوري التالي لعملية خلق العالم والأكوان والتي أشار اليها فراس السواح في كتابه مغامرة العقل الأولى ففي البدء كانت الإلهة (نمو) وحدها، التي انبثق عنها كل شيء وأنجبت ولدا وبنتا الأول (آن)اله السماء و الثانية (كي)آلهة الأرض وكانا ملتصقين مع بعضهما غير منفصلين عن أمهما (نمو) وبعدما تزوج (آن)و (كي) ، فأنجبا بكرهما انليل" اله الهواء الذي كان بينهما في مساحة ضيقة لا تسمح له بالحركة أولم يطق الشاب ذلك السجن فقام بإبعاده عن أمه ، بقوته الخارقة فرفع الأول فصار سماء ، وبسط الثانية فصارت أرضا، ومضى يرتع بينهما – لكنه كان يعيش في ظلام دامس ، فأنجب ابنه (نانا) إله القمر فيبدد الظلام في السماء ويدير الأرض .وقام بعد ذلك (نانا) بإنجاب(أوتو) إله الشمس

الذي بزه في الضياءبعد أن أبعدت السماء عن الأرض ، وصدر ضوء لقمر الخافت ، وضوء الشمس الدفيء قام (انليل) مع بقية الآلهة بخلق مظاهر الحياة الأخرى.

فأسطورة الخلق لطالما عملت على البحث في أصل الكون / الوجود من العدم باعتباره كتلة سديمية او هي تصف كيف بدأ الخلق وتكوين العالم، وبداية تكوين العادات البشرية و أصل الظواهر الطبيعية و تصف الكون وتخرجه من حالة الفوضى أو انعدام الشكل إلى حالة انتظام .

ولعل هذه الأبيات فيها إشارة واضحة لخلق العالم والكون بشكل منظم وصولا للإنسان.

ما دام حاضر يافع استطيع

زيارة نفسي، ذهابا ، إيابا

كأني وما دام لي حاضر أستطيع

صناعة أمسي كما أشتهي ، لا كما

حاضره أستطيع اشتقاق غذي من

سماء تحن الى الأرض ما بين

حربا وحرب ، وإني لأني [1]

خلقت السماء ثم الأرض وكانا ملتصقين ببعضهما وفرق بينهما الإبن البكر فبقي الحنين للأصل دائما ، كالفلسطيني الذي فرق عن وطنه بالنفي والترحيل الإجباري فالصراع على البقاء على تلك الأرض الطيبة فكان كل يوم يولد ذلك الطفل الصغير تحت الرصاص ويخرج من بين الركام وتبعث في روحه قوة تدفعه لصناعة حاضره واشتقاق غذا أفضل وتبقى في نفسه أمنيت تغيير أمسه حتى

[1] محمود درويش:لا أريد لهذى، القصيدة أن تنتهي، رياش الريس للنشر،بيروت،لبنان،2009 ص 39.

بعد فوات الأوان، وتحت هذا الصراع وجد الطفل نفسه يتقن لعبة الموت المحتوم منذ الولادة لأنها مشروعه المستقبلي، ورغم حنين السماء إلى الأرض وبعد فرقتها، فلا الأولى حمت نفسها من صواريخ إسرائيل ولا الثانية استطاعت أن تحتضن كل موتاها وتسترهم كما كان ويبقى الحنين وبينهما إبن آدم يتصدى وحده لوابل الرصاص وغارات اليهود ما حرب وحرب، فالموت أصبحت لعبتهم ، لأن الفلسطيني الصغير الذي يمثل الحاضر ويحاول تغييره كما يشتهي، يستطيع أن يعود لماضيه ويرسمه كيف يشاء إن يغير خارطة الطريق لفلسطين وهذا دليل على أن الإنسان حتى ولو حرم يبقى صاحب موقف ومبدأ ويرسم أحلاماً يصبو لتحقيقها.

وهذا يشبه أسطورة الخلق عندما خلق كل شيء من بعضه كاستنساخ و سبطت الحياة بالشمس وظهر كل مافي الأرض،خلق الإنسان وتبسطت له الحياة فصنع ذاته وكون مستقبله ووصل لمرحلة العودة بالزمن لتغيير ماضيهم وتعاليم حياته إلى الأحسن فإله الهواء كان محصور بين السماء الأرض كالفلسطيني الذي وقع بين إسرائيل و دولته فتحولت حياتهم إلى قضبان سجن اطبقت على صدورهم وافقدتهم لذة الحياة فاصبحوا خارقين في التغيير كأمنيات ويبقى حلم الفلسطيني المسلوب هو ذاته وأرضه وهما قوتان ناريتان في حياته ويبقى ماضيه ناقص مبتور وحاضره مشوه يحاول تجميله بكل ما أوتي من قوة .

ولعل هذه الأبيات فيها إشارة ساطعة لأسطورة الخلق والتكوين في خلق الماء والهواء والنباتات .. الخ

أحبك خضراء يا أرض خضراء تفاحة.

تتموج في الضوء و الماء خضراء، لذلك

أخضر، فجرك أخضر فلتزرعيني برفق...

برفق يد الأم، في خفة هواء.

أنا بذرة من بذورك خضراء.[1]

فانليل إله الهواء كان يحس أنه في مكان ضيق بين أمه وأبيه السماء والأرض، سعى لتفرقتهما لكي يتحرك بحرية ومنها جاء انفصالهما وحاول أن يتربى بينهما في أرض خضراء وضوء شمس مشرق يبعث بالحياة الكريمة وماء عذب يروي الغليل وهذا كله باستعطافه لأمه حتى تتركه يعيش حياة هادئة ومليئة بالدفء والرفق فإنجابه لم يكن خطيئة حتى يحاسب عليها ويطبق على انفاسه في سجن الحياة – كالفلسطيني البري اليانع الذي اعتاد العيش في المزارع الخضراء والحقول الغناء. لكن أطبقت إسرائيل على أنفاس وسلبت منه كل تعاليم الحياة الكريمة فتلبدت سماءه رصاصا حيا ودخانا قاتلا وتجردت أرضه في اخضرارها و شاخ زيتونه بعد طول سنين وتفرق عن دفء أمه وحرم من حفنة هواء صافية أطبقت على أنفاسه غيما ودخَانا أو تجردت أرضه من أبسط تعاليم الحياة وكأنه كان سارق تفاحة آدم أوانه ارتكب خطيئة عند ولادته واصبح مشروع إسرائيل قتل البذور اليانعة قبل أن يشتد عودها وتصبح أشجار يافعة تضلل أصحابها.ولعل في هذه المقاطع من قصيدة **الآن** بحث الإنسان عن وجوده

الآن كنت

الآن، سوف تكون

فاعرف من تكون.....لكي تكون [2]

فمحمود درويش دمج الحاضر مع الماضي ، مُضِيًّا إلى المستقبل لتكون عبارة فاعرف من تكون – لكي تكون . إنها الذات التي تولد من قلب التحدي . الذات التي تعرف نفسها جيدا ولا تحتاج

---

[1]– محمود درويش، لا أريد لهذي القصيدة أن تنتهي، ص 33.

[2]– ديوان محمود درويش، لا أريد لهذي القصيدة أن تنتهي، ص4.

لمن يعرفها من قلب النار والتحدي يولد الفلسطيني الذي حولته الحروب. وعلمته كيف يجب له أن يكون كما يكون .كما نجد في هذه الأبيات البحث عن الذات المولودة من العدم.\ُ‘

من أنا لا قول لكم

ما أقول لكم ؟

كان يمكن ألا أكون أنا من أنا [1]

كان يمكن الا أكون هنا.

يعيش الفلسطيني في دوامة مغلقة وحالة مفزعة وانسلاخ عن بكرته ، فهو يبحث عن هذه الذات الفارغة المفزعة المبثوثة في ثناياه سنين طوال لكنه لا يعلم أصل خلقها وتكوينها ، ربما هي مولودة من العدم من اللاشيء والفراغ وهذا سبب فشله الواضع في استرداد هويته ومحاولته لإثباتها بكل السبل ، فسلك كل المناحي وحاول بكل الطرق أنا يستميل العرب ويستنهض همهم ويشحذ تلك النفوس المولودة من العدم . ليقول للعالم ها أنا ذا.وربما هذه الأبيات توحي بالبحث عن الوجود والخلق البشرى والبحث عن الخلود

ويشرب الموتى مع الأحياء.

نعناع الخلود ، ولا يطيلون الحديث

عن القيامة. [2]

[1]- ديوان محمود درويش، لا أريد لهذي القصيدة أن تنتهي، ص21.

[2]- المصدر نفسه، ص 15-16.

يتمنى الفلسطيني الذي هو مشروع شهادة منذ ولادته لو يطيل في عمر الشهداء ولو بشربة نعناع وهو يرمز للفتاؤل وبعث الحياة من جديد والنشاط في النفوس. رغم أن كلمتين الموت / الحياة – الموت / الخلود كلمات متضادة لا تلتقي ، لكن الانسان لا يستسلم خاصة لكثرة الشهداء و رائحة الدماء والموتى حتى حلقت فوق جثثهم نسور فلسطين الجارحة من جزاء الدفن الجماعي والقتل العشوائي وكأنها علامات القيامة وما هى بعلامات القيامة لأنهم لا يريدون الحديث عنها بل يبحثون عن الخلود و تغيير رائحة الدماء برائعة النعناع على القدر يتغير ولا يعود كل فلسطيني مشروع شهادة منذ ولادته.

نلمس في هذه الأبيات أيضا تجلي رحلة البحث عن الأصل والتكوين في غربة الفلسطيني في دياره

لن تكون كما أردنا أن تكون.

وكما نام الحنين استيقظ الغد

سوف نشقى مى قيامتنا الصغيرة

عندما تقف الظلال على الحياة [1]

أراد الفلسطيني أن يعيش لكل الشعوب ، المتحررة في أمن و سلام يحن إلى وطنه الذي تغيرت ملامحه ولم يعد هو ذاته ، فقد شوهت إسرائيل ملامحه الجميلة وغزاهخراب يتبؤ بالقيامةالصغيرةالتي يصحو عليها كل طفل صغير أحلامه كبيرة ، فالظل يعكس حقيقة الحياة الطيبة أو المشوقة كما تظهر وتتجلى أسطورة الخلق في غربة الفلسطيني التي يعيشها وتحياها ذاته وهو في وطنه، وهذا التشوه ملامح الحياة وتغيرها عن أصلها وتكوينها.وفى هذه الأبيات إشارة واضحة لقصة الخلق والتكوين التي فصلها الفلاسفة الأوائل.

[1]– قصيدة رغبت فيك، رغبت عنك، ص 16.

كل ما في الأمر أني لا أصدق غير حدسي

للبراهين الحوار المستحيل، لقصة التكوين.

تأويل الفلاسفة الطويل [1]

فالشاعر لم يعد يصدق غير حدسه في قصة التكوين فهو أعمق وأدق موضوع يطرق ، فقد أدلى الفلاسفة بدلوهم حتى أصبح الحوار مستحيل لأنها قصة طويلة فقصة الوجود الإسرائيلي على أرض فلسطين قصة شائكة كثير الحوار فيها وتقديم التفسير والبراهين فكل يفسر ماست وجهة نظره، رغم أن الأصل في الوجود موجود بالكتاب الشريف ومع هذا فتح المجال طويلاً للوجود الصهيوني وكيفية طغيانه على القوم الأصليين فتولد التنافر والتنافس على البقاء والخلود على هذه الأرض الطيبة.

[1]-قصيدة على محطة قطار سقط على الخريطة، ص 16.

2- أسطورة جلجامش:

أسطورة جِلْجَامِش هي ملحمة يكون فيها "**جِلْجَامِش**" **(دلكامش)** نصف آلهة يمتلك قوة بشرية خارقة، ويصبح صديقا "**لأنكيدو**" الإنسان البري يكونان عدوّين وبعدها تنعكس الأمور ويخوضان معا مغامرات، ويهزمان "**خومباباوثور السماء**" الذي يعثته الآلهة "**عشتار**" (المعادل الشرقي السامي **لإنانا**) للانتقام من **جِلْجَامِش**، لمهاجمتهما بعد رفض جِلْجَامِش لعرضها أن يصبح قرينها (حبيبها).

وهي أسطورة البحث عن الخلود، والملك الدي لا يزول، طالت الرحلة في البحث عن أسباب الخلود ومرّ بعدة عقبات وعوائق وكان له قوة خارقة، لأن ثلثاه إلها وثلثته بشرا لذلك استطاع أن يتجاوز المكائد والأفخاخ المنصوبة إليه، إلى أن وصل إلى عشية الخلود الخاصة بجده الذي (كتب له الخلود) ولذلك فتح هذا السؤال **لماذا جدّه فقط يكتب له الخلود؟**

هنا بحث **جِلْجَامِش** على الخلود لأنه كان متسلطا ظالما لأهله ومملكته، فخيمت على حياته الكثير من المتناقضات القوة/ الضعف – السلطة /البساطة، الخلود/ الموت، الكره / المحبة، الأخوة /العداوة... كل هذه التناقضات جعلت الأسطورة مميزة وغنية لغويا ومفعمة بالمفاجآت، ولعل هذه الأبيات في قصيدة "

على محطة قطار سقط على الخريطة

كان القطار يسير كالأفعى الوديعة من

بلاد الشام حتى مصر، كان صفيره

يخفي ثغاء الماعز المبحوح عن نهم الذئاب

كأنه وقت خرافي لتدريب الذئاب على صداقتنا [1]

[1]- محمود درويش، لا أريد لهذه القصيدة أن تنتهي، ص 15.

وهذه إشارة واضحة واشعاع ساطع على أسطورة **جِلْجَامِش** عندما جال البقاع بحثا عن عشبة الخلود، وفي الأخير عندما حصل عليها، تخفّت الحيّة وأخذت منه العشبة دون علمه عند نزعه الثياب، وهنا لا يمكن للمتناقضات أن تلتقي الفريسة/ الصيّاد، الذئاب / الماعز، الصداقة/ العداوة، ومتى كان اللص صديق إلاّ في الوقت الخرافي، كفلسطين التي لطالما دخلت في هدنة مع اليهود ظنّا منها أنه حان وقت الفكاك من الشباك، لكن تعود لتكشف عن أنيابها لتمزّق الضحية المسكينة بدون سلاح، وهنا القوة / الضعف، المحبة/الكره.

كما تتجسد الأسطورة **جِلْجَامِش** في هذه الأبيات معلنة عند بحث **جِلْجَامِش** عن الخلود بعد وفاة أخيه "**أتكيدوا**":

حادثة الحياة وحادث الموت المؤجل ساعة

أو ساعتين، وربما عامين... يفرحني تذكر

ما نسيت: نسيت أن أنسى غناء النائي

للأفعى بلا سبب يفيض النهر بي، وأفيض

حول عواطفي: بالزنبق امتلأ الهواء كأن

موسيقى ستصدح [1]

وهنا تشبه هذه الصورة، الصورة التي يتمناها **محمود درويش** في نفسه لو أننا نستطيع استنساخ خلفة تشبه اليهود حتى تكون القضية عادلة، الندّ للندّ بالقوة والسلاح وكل ما يحتاجه

وربما يبحث الشاعر لفلسطين على حياة آمنة مطمئنة بعيدة عن سلطة الحكم اليهودية والتعسف الذي يعانونه والظلم والطغيان، كأنهم حيوانات بريّة.

[1]- محمود درويش، لا أريد لهذه القصيدة أن تنتهي، ص 13.

أنا قادم من هناك

سمعت هسيس القيامة، لكنّني

لم أكن جاهزا لطقوس التناسخ بعد

فقد ينشد الذئب أغنيتي شامخا

وأنا واقف قرب نفسي، على أربع

هل يصدقني أحد إن صرخت هناك

أنا لا أنا

وأنا لا هو

لم تلدني الذئاب ولا الخيل

إنّي خلقت على صورة الله [1]

وهنا نلمس حديثا واضحا "**لأنكيدوا**" الأخ المستنسخ لأسطورة **جِلْجَامِش**، لكي يقف في وجه ظلمه لأهله في "**أوروك**" فهو لا يصدق أن هناك موت وفناء للحياة التي منحت له، لكنه لم يكن جاهزا ليكون نسخة لأخيه الخير/ الشرّ، وعاش في الغابة مع الحيوانات والذئب أولهم يقف بجانبه شامخا على أربع (**أخمصي**) فلا أحد سيصدقه إن صرخ برفضه للحياة معهم، فهي كانت تعجبه حباة البرية والهواء الطلق مع تذوقه بالحرية بعيدة عن السلطة التعسفية "**لأوروك**"، فهو لم يولد من الذئاب ولا الخيل ولا يمت لهم بصلة بل صوّرته الآلهة كما يشاء الله أن تكون صورته.

[1] – محمود درويش من قصيدة "**لا أريد لهذه القصيدة أن تنتهي**"، ص 55.

أنا وهو

سنكون شريكين في قتل أفعى

لننجو معا

أو على حدة

ولكننا لن نقول عبارة شكر وتهنئة

على ما فعلناه معا

لأن الغريزة، لا نحن

كانت تدافع على نفسها وحدها[1]

يصوّر لنا الشاعر صورة **جِلْجَامِش** وأخوه "**أنكيدوا**" عندما تصالحا كإخوة بعد أن كانوا أعداء، فساروا مسيرا واحدا للبحث عن الخلود، والملك الذي لا يزول، فربما كانوا شريكين في قتل الأفعى، أو كل واحد على حدى ولن يهنئوا بضعهم، لأن الغريزة هي التي دافعت عن نفسها ولا زالت تدافع وبهذا حكم الغريزة المبثوثة في نفوسنا، كما الفلسطيني الذي يكون هو والآخر ضد العدو، فيقتلوه، ولا يهنئوا بعضهم، لأنهم حملوا على حمل رسالة كبيرة، هي تحرير الأقصى وهذا قضاء محتوم فهم مجبرون، أخوك مجبر لا بطل لقتله يهودي، فالفلسطيني عندما يخلق يكون نسخة عن أخيه له مسعى واحد وهدف واحد لا يحيد عنه، هو الحرية مقابل الشهادة.

حادثة الحياة وحادث الموت المؤجل ساعة ....

أو ساعتين، وربما عامين... يفرحني تذكر ....

ما نسيت: نسيت أن أنسى غناء النائي....

للأفعى بلا سبب يفيض النهر بي، وأفيض

---

[1] – "سيناريو جاهز" ، ص 32.

حول عواطفي: بالزنبق امتلأ الهواء كأن

موسيقى ستصدح [1]

يواصل الحديث عن جلجامش، عن أسطورة الحياة، وأن الموت بمثابة الحادث المدبر المؤجل الذي يسعى إلى الهروب منه ومراوغته قليلا، ومن خلاله يخفق الخلود.

فهنا يحاول **جلجامش** أن يلهي الحيّة بغناء الناي حتى لا تلدغ الفريسة، كما يلهي الفلسطيني اليهودي قليلا حتى يؤجل صلاحية حياته قليلا، ويمدد هذا العمر لأنهم خلقوا أن يكونوا شهداء في الأساس.فهم لا يريدون تحقيق مشروع الشهداء عاجلا بل آجلا، انهم يسعون لمماطلة اليهود من أجل تحقيق النصر والحرية، فجلجامش حاول أن يتخطى كل العقبات، حتى النهر الجاري وطريق الأفعى، حتى يحقق حياة جميلة كحياة الزنبقة حتى ولو في وسط الشوك والحشائش الضارة، كما الفلسطيني يبحث عن حلّ في ثنايا هذا الزخم المليء بالأفخاخ والقنابل الموقوتة سعيا للقضاء عليه.

[1]- محمود درويش، **قصيدة " لا أريد لهذه القصيدة أن تنتهي"**، ص 13.

3- اسطورة بروميثيوس

هو عملاق خارق وقف في صف الآلهة الأولمبية ضد العمالقة في الحرب العظمى، وقد كان ذو حنكة ودهاء ومحبب للبشر دونا عن الآلهة، لأنه خالقهم وهي من أعظم القصص.

ترمز للولاء والوفاء ،فقد جمعت هذه الأسطورة بين عدة تناقضات الكبرياء المفرط /العناد الصداقة القيمة للبشر/ العداء.وتوصلنا من خلالها أنه إذا اجتمع قوتان متضادتان لا يستمر العمل مثل العقل/ القوة فيجب على العقل أن يعارض القوة إذا هيمنت عليه.وفيها رمزية واضحة للأمريكيين الذين ثبنوا الاسرائليين وزودوهم بكل القوة واللآلات الفتاكة فكتبت لهم القوة وكتب للفلسطنيين العقل والتدبر في الأمور لأن فاقد الشيء لايعطيه، فهم قوم ضعاف ويتبع ذلك من ايمانهم بقضية لا يملكون أصولها، لكن الفلسطيني يحارب بعقلية من يفقد شيء يملكه لا يستطيع التفريط فيه ولو على جثتهم كشهداء لتحقيق النصر في القضية.

ولعل هذه الأبيات في قصيدة "لاعب النرد" تجسد قصة بروميثيوس في اشارة واضحة وبارزة.

نحن أنباء الهواء الساخن البارد.

والماء، وأبناء الثري والنار والضوء.

وأرض النزوات البشرية.[1]

فبروميثيوس خلق الإنسان وحاول أن يوفر له كل العطايا التي سرقها من آلهة الأولمب، الشفاء، علم الفلك، تحديد الفصول .... إلخ وتوصل لسرقة النار في لدفئهم من البرد، فهو يمثل رمزا للعطاء والمحبة وبعد النظر.أما أخوه"ابيمثيوس" فقد خلق الحيوانات من الماء واستهلك كل الأدوات وأعطاهم كل ما يحتاجونه كالأنياب- الفرو- والأنياب وكانت القوة له والعقل والتفكير لأخيه وهاتان قوتان لا تلتقيان بل الغلبة للعقل لا للقوة لأنها تعمي على البصيرة وهي كعلاقة اليهود بقوتهم

[1]-لاعب النرد، ص 2.

وجبروتهم التي أعطاها لهم الأمريكيين، فكانت قوة ووحشية حيوانية كتب لها أن تنبذ وتعرى عن الرأي العام والفلسطيني هو ذلك الإنسان الذي يبحث عن السلام فلم يجده واستدرج اليهودي للقصف فكان أحيانا ضحية النزوات بشرية وحشية رخصت لنفسها أبشع الأسلحة المستعملة، وبأبشع طرق على وجه أرض طيبة، ترمز للعطاء والخصب فحولت كل الخيرات إلى خراب ودمارا ارضاد لنزواتها في البقاء والتعمير وسحق الفلسطيني.

ونجد هذه المقاطع في القصيدة التالية إشارة واضحة لأسطورة لسارق النار.

هو الحظ والخط لا اسم له

قد نسميه حداد اقدارنا

قد نسميه نجار تخت الوليد ونعش الفقيد.

نسميه خادم آلهة أساطير.

زمن الذين كتبنا النصوص لهم

واختبأنا وراء الأولمب.

فصدقهم باعة الحزن والجائعون

وكذبنا سادة الذهب المتخمون [1]

لعل هذه الأبيات اشعاع ساطع للدلالة على أسطورة بروميثوس.

[1]-لاعب النرد، ص 25.

فالحظ كان رفيق بروميثيوس بسرقة النار والهيات من آلهة الأولمب، فصنعوا بالنار العجائب وستأنسوا الحيوان فغضب أخاه واستدعى إلاه الحدادة لربطه بالسلاسل ومن هنا أصبح اليونانيون القدامى يرتدون الخواتم ليتذكروا وليخلدوا ذكراه لأنهم منقذهم.

وهذا يذكرنا بحياة الفلسطنيين، لو كان الحظ حليفه، وصاقل أقداره، لإلتفت حوله العرب وثمنوا القضية وثقلوها بالذهب نرى في الآونة الأخيرة انعكاس للوجهات النظر والرؤى فالأجنبي يرفع صوته والعربي يخفض صوته، بعد تعرى القضية من طرف الاعلام رغم سنين التلميح التي غطتها، وهذا حلم وكأنه في الأساطير ورغم ذلك ما زلنا لم يصلوا بعد لتحقيق هذا الحلم بالتحرر وبذلك لعدم دعمهم من طرف الرأي العام العالمي وهي الطبقة المخملية فقد صدقت القضية الشعب الغاضب ويبقى التحرر رحلتهم.

4- أسطورة أدونيس أو تموز :

زهرة شقائق النعمان أو الدحنون تقول الأسطورة الاغريقية أن فينيوس (آلهة الحب والجمال) وقعت في غرام " أدونيس " هامت به مما تسبب بغيض زيوس (قائد حمايتها) فقرر أن ينتقم من معشوقها الشامي حيث تمثل له على هيئة خنزير بنا بين فقتله واختلط دم أدونيس بالأرض ونبت منه زهرة الدحنون بلون حمرة الدم وقتل الحب بناب خنزير وأصبح الدحنون منذ ذلك اليوم رمزا لدم عاشق مسفوح، واعتادت صبايا الرومان قطفه ورميه في النهر المخضب بالطين الأحمر، داب جداتنا على منعنا من العودة إلى المنازل بها خشية أن يهيم دجاج المنزل بجمالها وتتوقف عن البيض والخصوبة.

وشقائق النعمان ترمز الى الفلسطنيين الذين اعتادوا أن يعيشوا جماعات ويعملوا كذلك، كما ترمز إلى الشهداء ودمهم الذي روى الأرض لرمزية لونها، كما حاول الاحتلال سرقتها واعتبارها " زهرة اسرائيل الوطنية وهي من جملة القائمة المنهوبة من طرف الاحتلال، فهذه الزهرة تدل على فصلين وموسمين، فمن طلوعها نودع (الشتاء بخيره وأمطاره، ونستقبل الربيع بوروده وأزهاره، وكذلك تنقلب فلسطين بجبالها وسهولها إلى جنات خضراء تزينها الأزهار من كل الألوان، وتبقى رمزا للشهداء الذين نتذكرهم كلما فتننا لونها، ونؤمن حينها أن دماء عطائهم وجهادهم في سبيل حرية أوطانهم ستزهر كل ربيع حنونا ونرجسا وريحانا.ولعل هذه الأبيات تشير بشكل واضح وصريح لأسطورة (تموز).

هنا وقعت سماء باعلى

حجر وأدمته لتبزغ في الربيع شقائق النعمان

(أين الآن أغنيتي ؟). هنا

كسر الغزال زجاج نافذتي لأتبعه.

إلى الواد (أين الان أغنيتي [1]

وفي الحقيقة (السماء لا تقع وهنا مجاز على انقلاب الأحوال والسماء لم تكن يوما بشريا لتدمي وتبزغ منهاأزهارا لشقائق النعمان وهذا اشعاع ساطع وقوي على اسطورة أدونيس وتموز المعشوقين الذين انتقمت منهم آلهة الحب فقلبت حياتهم رأسا على عقب والحجر رمز لأطفال الحجارة وهم الفلسطنيين ودمائهم الطاهرة النقية التي تبزغ منها أطفال يستنسخون من آبائهم ويخلقون بمشروع شهادة ليزهر الربيع بهم من جديد الدرع العتيد بعد آبائهم، كما يزع شقائق النعمان من دم تموز وهنا تكون أغنية الشهادة.

والغزال هو الفريسة (فلسطين) هم كل النعمة والرداعة والحساسية رغم تلك القسوة التي يواجهونها فهو يعتمد على حدسه للتنقل في حياته واقتفاء أثر الجاني عليه (اسرائيل) للبحث عن أغنية (الشهادة).

وللبحث عن فرص للنجاة والانفتاح تكون جديدة للتعامل مع اليهود.[2]

حين تبدوا السماء ومادية

و رأى وردة نتأت فجأة.

من شقوق جدار. [3]

فالسماء فلسطين ملبدة حزينة من دخان الحرب والأسلحة المحظورة التي استعملها المستوطن الغاشم بكل غدر و رذيلة بغية الانتقام من أجل الصمود، فالحياة لم تعد صالحة، كالبيت التعيس المهجور الذي لا حياة فيه لكن فجأة تخرج وردة جميلة، بهية الطلعة من شقوق جدار البيت

---

[1]- محمود درويش، **قصيدة " لا أريد لهذه القصيدة أن تنتهي"**، ص 64.

[2]- المصدر السابق، ص 60.

[3]-المصدر نفسه ، 28.

فتبعت الحياة وتطلق أمنياتها كحياة فلسطين التعيسة التي تحتاج لمن يبعث فيها لأمل للتحرر كأبوا عبيدة قائد الحركة التي بزغ مؤخرا بشكل منظم فبعث الحياة والأمل من جديد، لكن كالعادة لم يلقى الأمر ترحيبا ولا حصانة من طرف العرب فتفرقت القضية وظهرت للعالم بأبشع صورةاشارة واضحة لأسطورة أفينوس وهو يحاور محبوبته، يقول لها : وهما ينظران إلى وردة.

تجرح الحائط : اقترب الموت مني قليلا

فقلت له : كان ليلى طويلا

فلا تحجب الشمس عني

وأهديته وردة مثل تلك

فأدى تحية العسكرية للغيب[1]

فهي تجسد مكانة " أفينوس " و "محبوبته" كحوار الفلسطيني مع وطنه الحبيب وهما أملان في حياة كلها ورد وزهو فهو لا يحب الموت عندما يشتم رائحته غارة تقترب منه فيبيت الليل يتقلب وبعد النجوم، حتى تطلع الشمس ليوم جديد فيتعلق أكثر بالحياة ويمقت الموت لأنه الشمس التي تحجب الظلام أو الموت المخيم على بلده الطاهرة الزكية، ويأخذه الموت وعند الزيارة تأخذ له زهرة النرجس لرمزيتها على الفقدان والمرارةفلا يكون أمامه إلا أن يتحي للغيب تحية عسكرية لبطل غادر بعد نظال كبير مع العدو.وهذه الأبيات رمز لأسطورة "تموز" والذي نبت على قبره زهرة شقائق النعمان.

ألف عصفورة في يد

لا نعادل عصفورة واحدة

---

[1]- محمود درويش، **قصيدة " لا أريد لهذه القصيدة أن تنتهي"**، ص 39.

ترتدي الشجرة

القصيدة هي الزمن الصعب

زهر جميل على مقبرهالمثال عسير المنال

فكن أنت أنت وغيرك

خاف حدود الصدي[1]

هنا إشارة واضحة لأسطورة "تموز" الذي نبتت حول قبره زهرة شقائق النعمان، فالفلسطيني يحاول تحقيق ولو هدف واحد يمسك أثره بيده ولا يبقى يتأمل للحصول على حلول مقترحة لم يكتب لها التحقيق على أرض الواقع وهذا صعب في زمن كثرت فيه الخيانات العربية.وعدم تحمل المسؤولية فلا أحد يمكنه تبني القضية غير أهلها وأصحابها الذين يعيشوا المرارة والحرمان والدمار والباقي فهو بعيد المدى وخلق الصدى لا يسمع صوته ولا يرى فهذا منال عسير التحقق إلا بأهل البيت هم صناع الحياة وسط الحلبة، لا المحيط الخارجي فهو متفرج ويصفق حينا للانتصارات ويحزن هنيهة للانكسار والخيبات هنيهات وتعود له الحياة لأنه خارج الحلبة.إلى شاعر شاب .

[1]- محمود درويش، **قصيدة " لا أريد لهذي القصيدة أن تنتهي"**، ص 82.

5-أسطورة أورفيوس:

أورفيوس وهو كاتب وموسيقي إسطوري إغريقي ونبي في الديانة اليونانية القديمة وفي الميثولوجيا الإغريقية وقد تم تأليف عدة قصص حوله وحول حياته، وقد قيل أنه ألف عدة أغاني لأجل زوجته "يوريديس" من العالم السفلي الإغريقي، تعلم العزف من أبوه "أبولو" فأصبح بعزفه يجتذب الحيوانات وحتى الجماد من حوله ليستمعوا لألحانه.

ترمز هذه القصة إلى التضحية والحب المشؤوم والتردد وعدم الثقة بالنفس واستبدالها بالشك وعدم الثقة في نفسه، جعله لا يصل إلى تحقيق حلمه الذي طالما انتظره، فضيعه بخطوتين أخيرتين استعجل فيهما فخسر طموحه وضيّع هدفه وسعادته، فظل هذا يلازمه طول حياته حتى مات ميتة شنيعة.

ولعل هذه المقاطع في قصيدة "**لاعب النرد**" يتجسد فيها قصة أورفيوس:

نحن ما زلنا هنا

ولنا أحلامنا الكبرى كأن نستدرج الذئب إلى العزف

على الجيتار في حفلة رقص سنوية [1]

كان أورفيوس يجوب البحار، فلو لا مساعدته لأصدقائه ليمروا من خلال السيرانة ولهم أحلامهم بالنجاة من يد العدو بفضل النساء اللواتي أغرين المارة من السفن بأجسادهم كالطيور بغنائهم الساحر لكي تتحطم سفنهم على شاطئ الجزر، ولمّا سمع أورفيوس غنائهم امسك بقيثارته وبدا العزف وبعذوبة عزفه وقوة أثره اجتذب الركاب بعيدا عن السيرانة.

ويمكننا أن نسقط هذا كله على حياة الفلسطيني الذي لم يستطع الخلاص من يدّ اليهودي، فأصبح يبتدع ويبتكر طرقا وكمائن ليستدرج فريسته إلى الكمين فيكون الرصاص بمثابة حفل راقص، فهم

[1]- محمود درويش، **قصيدة " لا أريد لهذه القصيدة أن تنتهي"**، ص 6.

يرقصون على أحزانهم ويقضون على أطلالهم وبقايا الدمار، فالعالم يصفق على أنغام الصواريخ، ويغتسل بدماء الثكالى واليتامى ويستمد قوته من صمود الفلسطيني الحرّ الأبي.

ونرى في الأبيات التالية من قصة "

لى محطة قطار سقط عن الخريطة

لا أحب خلاص ذاتي بالمجاز

ولو أرادتني

الكمنجة أن أكون صدى لذاتي

لا أحب سوى الرجوع إلى حياتي

كي تكون نهايتي سردية لبدايتي[1]

يريد "**أورفيوس**" الخلاص من مأساته برجوع حبيبته من العالم السفلي الذي صار هاجسا، فالكمنجة وسيلة للوصول إلى الخلاص لأنها سيرت له السبيل للوصول إليه فهو يريد أن تكون نهايته سعيدة، بسيطة هادئة كبدايته، كما يريد الفلسطيني أن تعود حياته المأسوية إلى سعادة وهدوء.

ونجد إشارة واضحة لقصة **أورفيوس** في هذه الأبيات:

انتظريني ليلا تغرس العنادل منّي

فأخطئ في اللحن

في الساحة المنشدون يشّدون أوتار آلاتهم

لنشيد الوداع فينقطع النرد بين المطالع

---

[1]- محمود درويش، **قصيدة " لا أريد لهذي القصيدة أن تنتهي"**، ص 13.

وهي ثنائية والختام الأحادي

تحيا الحياة[1]

كان "**أورفيوس**" يعيش مع زوجته "**يوريديس**" فرحا مسرورا مع محبوبته وتلهمه بأجمل الألحان، فهما ثنائي يكمّل بعضه، ويخاف أن يبقى لوحده فلا يوفق في اللحن، وخاف أكثر أن لا تعود بعد دخولها إلى العالم السفلي معاقبة له، وأضحى هذا الثنائي في الختام أحادي، ظلّ **أورفيوس** وحيدا يجر أذيال الهزيمة والخيبة بعد نظرته الأخيرة إلى الخلف، وظل وحيدا حتى الموت.

كما ظلّ الفلسطيني يصارع وحده في ساعات الوغى لكثرة الضعف والانكسار والخذلان الذي لاقاه من الشعوب العربية، بعد أن كان ينعم بالدعم العربي الذي ساعده على تقوية عوده وشد عضده بهم وجد نفسه في الختام وحيدا.كما نلمس إشعاعا صريحا واضحا لأسطورة **أورفيوس** في هذه الأبيات:

نسيت، لأنساك، طعم الخسارة في

القلب ليمونة عصرت بكفاءة أنثى مدربة

قلت لي: لست جيتارة للتمارين

إن كنت حقّا تحب: فكن أنت .... كن وترا. ..... (الخسارة تدعّي ولا تقتل)[2]

"**فأورفيوس**" العازف الماهر الذي عزف لاسترجاع محبوبته، عصرت على قلبه حموضة ليمونة بانتقام الآلهة منه، بدهاء ومكر، فلا يجب أن يعتمد على قيتارته لاستردادها أو لنسيان آلامه، بل أن يكون إحدى أوتارها، إذا كان حقا محبا لها ولا يطيق نسيانها.

---

[1]- المصدر نفسه، ص 24.

[2]- محمود درويش، **قصيدة " لا أريد لهذه القصيدة أن تنتهي"**، ص 76.

فالشاعر هو لسان حال الشعب الفلسطيني، هو من يدافع بقلمه على شعبه في السرّ والعلن، ولذلك حتى يثبت حبه لوطنه يجب أن تكون كلماته رصاصا حيّا وأن يأخذ دور كل واحد منهم، ولا يجعل من الشعر تسليته بل سلاحه الذي يبعد عنه الخسارة لأنها تجرح ولا تقتل.كما نلمس في قوله:

لن أبدّل أوتار جيتارتي ..... لن أبدلّها.

لن أحملها فوق طاقتها ..... لن أحملها.

لن أقول لها، جديني على وتر سادس

أجد الفرس العائدة[1]

فالقيتارة وسيلة وصل بها إلى تحقيق أغراضه وطموحه للحصول على مبتغاه، ورغم هذا لا يريد أن يحملّها وترا آخر قد يفسد ألحانها ويخرجها عن عذوبتها، كما لا يريد أن تأخذ قضية فلسطين منحا آخر ينعرج بها إلى الفشل وعدم استرداد الهوية وتحقيق الحرية المسلوبة.

[1]- محمود درويش، **قصيدة " لا أريد لهذي القصيدة أن تنتهي"**، ص 80.

6- أسطورة زهرة النرجس "نرسيس":

أسطورة "**نرسيس**" هي قصة شاب وسيم عشقته كل فتيات وحوريات المروج الخضراء اليونانية، لكن لم تستطع أيّا منهم الاستحواذ على قلبه (فغضبت عليه **أفروديت**)، لم يعشق في حياته سوى انعكاس صورته في الماء... وحولته الآلهة إلى زهرة النرجس بعد أن قتله حبه لنفسه.

وهي ترمز للشخص النرجسي، رجلا كان أو إمرأة، الذي ينسلخ عن محيط مجتمعه حتى موته وذلك بسبب إعجابه بنفسه لدرجة نسيانه للآخرين من حوله، فيكون مصيره الفناء أو الموت، فهي ترمز للفناء والموت أحيانا، وللحب النرجسي الأناني من جهة أخرى.

كما ترمز لزهو الإنسان الذي سرعان ما يختفي ويذبل مع الأيام، لكننا مللنا صورة النرجس (ههنا) الفلسطيني ملّ صورة الكبرياء والغرور والوقوف الندّ للندّ رغم أنهم أنهكوا وذاقت بهم الأرض ذرعا.

وقد لمسنا الحديث عند أسطورة "**نرسيس**" في قصيدة "**لاعب النرد**" بشكل واضح وصريح في هذه الآبيات.

هكذا أتحايل: "نرسيس" ليس جميلا (لاعب النرد) ... كما ظنّ لكن صنّاعه

وزطوه بمرآة، فأطال تأمله

في الهواء المقطر بالماء ...لو كان في وسعه أن يرى غيره

لأحبّ فتاة تحملق فيه

وتنسى الأبائل تركض بين الزنابق والأقحوان .... ولو كان أذكى قليلا

لحطم مرآته.... ورأى كم هو الآخرون

ولو كان حرّا لما صار أسطورة[1]

---

[1]- محمود درويش، **قصيدة " لا أريد لهذي القصيدة أن تنتهي"**، ص 30.

وفي هذه الأبيات إشارة واضحة لحالة الفلسطيني الذي وجد نفسه متورطا في علاقة مدّ وجزر مع اليهودي، فلا هو حرّ ولا هو مقيّد **(علاقة تضاد)** وتنافر دائم، لأنها علاقة مفروضة، مدبرة من صنّاع الحياة ولم يكن مخيّر في دخوله في غارات ولا كمائن كلها مدّبرة، ولو كان حراّ لحطّم تلك القيود التي فرضت عليه والخيانات التي حيكت ضده من الآخرون وهم العرب، ولو حرّا لما أصبح أسطورة.

أرى أثري وأتبّعه

أرى ظلّي وأرفعه من الوادي بملقط شعر كنعانية

شكلي أرى ما لا يرى من جاذبيته

ما يسيل من الجمال الكامل المتكامل الكلّي

في أبعد التلال، ولا أرى قناصتي .... (ضيفا على نفسي أحلّ).[2]

فالفلسطيني هنا يتبع أثره عله يجد حلاّ، لما سلب منه ربما يجد إشارة أو دليل واقع من عدوه، ويرى ظله كالروح التي تصاحب صاحبها ويريد أن يرفعه كالموت المحتوم الذي يلاحق صاحبه في كل لحظة، وحين يرى الكل يصفق ويدعم القضية الفلسطينية ويخرجها بصورتها الكاملة المتكاملة ويعطيها حقّها بالعين لا بالعقل والفؤاد فيخرجون القضية مجمّلة بأحلى حلة، لكن لا فعل يذكر ويطبق بالحقيقة بل كل ذلك يدعى حلما عربيا رسم بأجمل ريشة، بحيث يغطون على جرائم المحتل وأفعاله البشعة، فيظلون الرأي العام دائما ولهذا لم تنصف هذه القضية، ويبقى الفلسطيني هو من يرى الحقيقة كاملة ويظل هو من يدعمها ويخرجها إلى النور.

استحضر الشاعر الرمز الأسطوري "نرجس" في ديوانه **"لا أريد لهذه القصيدة أن تنتهي"**، والذي نشر بعد وفاته، حيث يبدو درويش ضجر ممن يتباهون بوطنيتهم حيث يقول في قصيدته:

هنا، الآن، وهنا الآن

---

[2] –المصدر نفسه، ص 18.

وطنيون، كما الزيتون

لكنا مللنا صورة النرجس

في ماء الأغاني الوطنية[1]

فربما تكون هذه إيماءة من الشاعر إلى الذين يرون أنفسهم رموزا وطنية من خلال إكتفائهم بالتغني بها، فيما هم يبعدون كل البعد عن الفعل الوطني، فالكل يغني باسم الوطن على أرض الواقع غائب أو محدد.

كما يستدعي الشاعر "**أسطورة نرجس**" في الديوان ذاته: "**لا أريد لهذى القصيدة أن تنتهي**" في قصيدته "**ليل بلا حلم**"، ليعبر عن فخره واعتزازه بذاته، حيث يقول **محمود درويش**:

أنا **الغريب وكل ما حولي يذكرني بنفسي**

كلما حدقت في الماء امتلأت بنرجسي

فغضضت ظرفي [2]

فرؤية **درويش** لذاته وافتخاره بها كرؤية نرجس بصورته في الماء، واعتزازه بها فالشاعر يغض الطرف عمّن حوله ولا يكترث بالآخرين، فالماء مرآة عاكسة للنفس، تعكس حياة الفلسطيني الذي ملّ وسئم من انتظار حلّ عربي لقضيته، لكن لا آذان تسمع ولا قلب عربيّ يخفق ويحّن لقضيتهم، وهذا ما جعلهم يكترثون بانتظار الحلول من الآخرين، فحملوا مشعل قضيتهم وكان درويش لسان حالهم، ومشعلهم في المحافل.

حدّق إلى مرآة نرجسا الوسيم

يقول: ولنفرح بحصتنا من الماضي

---

[1]- محمود درويش من قصيدته (**لا أريد لهذى القصيدة أن تنتهي**)، بيروت، رياض الريس للكتب والنشر، 2009، ص ص 14-15.

[2]- المرجع نفسه، ص 101.

أقول: جراح نرجسيتنا ستكسر هذه المرآة

لا يبدو كلامك واضحا

فأقول في لغتي من المنفى ضباب[1]

تنعكس قضية فلسطين على حكاية "**نرسيس**" الذي كان يعيش طفولته، طفولة عادية وهادئة مطمئنة، إلى أن سلّطت عليه الآلهة عقاب الحب، فأصبحت حياته مرهونة بانعكاس صورته ولم يعد يفارقها حتى الممات، كالفلسطيني الذي كان يعيش ككلّ أطفال العالم، إلى أن تسلطت عليهم إسرائيل وسلبت منهم حريتهم، فلا طفل عاش طفولته، ولا شاب تمتع بشبابه ومارس حياته، ولا كبيرا وقّر ولا صغير رحم، فانتهت حياته قبل أن تبدأ لأنها سلطت عليهم كل وسائل التعذيب والترهيب فشرّدوا وأصبحت جلّ مدنهم دمار، فلا معمار بقى، فانعكست جراح الفلسطيني وبات يصبح وينام على نفس الحلم وهو الحرية واثبات الهوية المسلوبة.

[1]- محمود درويش، **قصيدة " لا أريد لهذي القصيدة أن تنتهي"**، ص 13.

7- أسطورة العنقاء:

طائر **الفينيق** عاش في الجنة لألف سنة حجمه كبير، لونه ذهبي ناري وعلى رأسه طرّة من الريش كأنها تاج، له ذنب طويل ريشه من الأحمر البرتقالي والأصفر، بعد أن اكتسب المقدرات السماوية والحكمة، أراد أن ينزل إلى الأرض لكي يرى كيف يعيش الناس ويشاركهم آلامهم وأفراحهم ويموت، بعد أن ذاق الخلود في الجنة، عندما شقّ طريقه من الجنة إلى الأرض استوقفته رائحة اللبان والبخور الصنوبري المنبعثة من جبال لبنان فبنى عشّه على أعلى شجرة أرز من العنبر واللبان.

أسطورة الفينيق لطالما جسدت هذه الأسطورة البحث عن الحياة والميلاد من جديد، فمن ذلك الحطام يبعث من جديد ويحيا من رماده كقضية الشعب الفلسطيني الذي يبعث من جديد من تحت ركام الاسمنت ومن أرواح الطفولة، فهو يرمز للتجدّد والخلود.

يستحضر **درويش** في ديوانه: "**لا أريد لهذي القصيدة أن تنتهي**" إشارة إلى الطائر الأسطوري "**طائر الفينيق**" دون ذكر اسمه، ولكن من خلال صفة من صفاته وهي الاحتراق:

كان يمكن أن لا أكون سنونوة

لو أرادت لي الريح ذلك

والريح حظّ المسافر

شمألت، شرقت، غربت

أما الجنوب فكان قصياّ عصيّا عليّ

لأن الجنوب بلادي

فصرت مجاز سنونوة لأحلق فوق حطامي .... ربيعا خريفا [1]

[1]- محمود درويش، **قصيدة " لا أريد لهذي القصيدة أن تنتهي"**، ص 21-22.

فالفلسطيني عندما تحطمت مدينته يلجأ للرحيل إلى مدينة مجاورة كالسنونوة التي تهاجر بحثا عن الدفئ والأمان، لكن سرعان ما يستفيق على عيشه وسط الركام في مدينته الجديدة فلا أمان ولا سلام، لكن هناك خراب ودمار ورغم هذا فالفلسطيني شاء له القدر أن يبعث من تحت الركام ويبحث عن التجدد والبقاء، لأنه يحلق فوق حطامه في كل الفصول ولا يرضى الهزيمة والانكسار.

كان

من سنونوة ثانية

وخروج على القافية

وانتباه إلى سعة الهاوية

لا أريد لهذي القصيدة أن تنتهي [1]

يشير الشاعر إلى أنه لا بد للفلسطيني أن يجدد حياته ويبعث من ركامه من جديد ويخرج عن المعهود، لأن الميت لا يحيا من جديد ولا يبعث حتى ولو في المنام، لكن لا بد من رسم خارطة طريق جديدة ويبحث الفلسطيني من جديد من خلال استنساخه في ابنه وخاله وعمه الأحياء لكي يكملوا المشوار بعده، ولا يتوقف لكي لا يكتب النهاية لهذا الشعب القوّي، المثابر الذي لا يكل ولا يملّ وله في جمعته مع الآخرين قوة وانتصار.

ولنا في الحرب على غزة صورة لذلك الشعب المكابر، الشعب الأبّي الذي لا تهمه الحياة بقدر ما تهمه الشهادة ...

كانت هذه اهم الأساطير التي سعينا لاستخراجها من الديوان في محاولة منا ربطها مع السياق العام الذي يحياه الشعب الفلسطيني وتحياه فلسطين وتبقى القصيدة الدرويشية مفتوحة على تعدد القراءات والتأويلات.

---

[1]- محمود درويش، **قصيدة " لا أريد لهذي القصيدة أن تنتهي"**، ص 41-42.

خاتمة

وفي ختام هذا البحث الذي تطرقنا فيه لدراسة تجليات الأسطورة في شعر محمود درويش نصل إلى النتائج آلاتية:

– تميزت الأسطورة بعدة خصائص والتي كانت السبب في تميزها عن باقي الأجناس الأدبية وأبرزها الأهداف التفسيرية لمظاهر الكون وترمي إلى تحقيق وغرس أهداف تعليمية وتربوية وربما اجتماعية بحتة .

–اعتمد الشاعر على أسلوب الإيحاء والتلميح في جل قصائده ليكسبها بعدا رمزيا مليئا بالكثير من الرموز والدلالات والإيحاء واستلهم طاقات تخيلية ثرية ضف إلى ذلك اللغة الشعرية والأسلوب الراقي والمكثف والمعاني والرموز الأسطورية .

– حضور بعض النماذج الأنثوية في شعره وكيفية تأثير الأنثى على الذكر مثل رنسيس في عدة قصائده ومساعدة النسوة اورفيوس للاستعادة حبيبته من العالم السفلي فالمرأة الأولى كانت محبة من طرف واحد ولم تلق اهتمام قد بلت واندثرت والثانية كانت بمثابة النار فأحرقت نفسها وحبيبها وبالتالي فقد جسد دور المرأة بأنها سلاح ذو حدين ,بها الحياة والممات وهما طرفان متعاكسان لايلتقيان .

– مثلت فلسطين الحيز المكاني والزماني ,بمعالمها الدينية (القدس) والتاريخية ومعالمها الواضحة واهدافها كدولة عربية مسلوبة الحقوق وكيف ألت إليه لتمثل مدينة الحزن والموت المحتوم والشهادة المكتوبة مسبقا و تحولت إلى مدينة الوهم والحلم الغائب والحقيقة المخيبة والمعالم المطموسة لتأخذ البعد التاريخي والرمزي والأسطوري من خلال الأساطير المدروسة .

– وقفت النماذج الأسطورية في الديوان عند معادلة الصراع بين الوجود والعدم والموت والحياة والكثير من المتناقضات الحب والكره والغيرة والحسد والأنانية والإيثار والتملك والفقدان كل هذه المتناقضات ترمز إلى الفلسطيني الذي يعيش في دوامة وصراع لإثبات الذات .

لجأ الشاعر إلى توظيف الأساطير وهذا دليل على تأثره بالفكر الغربي والحضارة الغربية وهو شان الشعراء المعاصرين الذين تغذت إشعارهم من الأساطير الغربية فكان الشاعر واحد منهم ليس لأنها قضية تأثر بقدر ماهي الدعوة إلى الحوار مع الأخر حتى وان كان الأخر هو الجحيم ولان الحلول للقضية الفلسطينية لا تأتي بالانكفاء على الذات بقدر ماتتحقق بالتواصل والحوار مع ذلك الأخر.

- طبعت أشعار هذا الديوان محل الاشتغال بطابع الغموض وحملت برموز مشفرة وبدلالات عميقة فاكتسب النص الدرويشي لغة الغموض – فكانت الأسطورة – لتترك مساحة الحرية للقارئ الذي ينهض بفك تلك الرموز في ضوء نظرية القراءة وجمالية التلقي .

– كلما كان النص غامضا وكلما حضرت الأسطورة تحققت الرغبة الكبيرة في كشف الغموض وفك المغاليق فكان الشاعر ومن خلال العتبة الأولى المتمثلة في العنوان يهدف إلى تعذيب القارئ للوصول إلى المعاني .

–عبر الديوان ومن خلال العنوان عن الصراع بين جدلية الوجود والعدم والرغبة في الاستمرارية : استمرارية الذات التي تولد من العدم وتنبعث من الرماد كطائر العنقاء .استمرارية مسار القضية الفلسطينية استمرار الشعب :إن قتل خالد فسوف ياتي عمرو وان سحقت زهرة فسوف يبقى العطر .

– تحول مسار الشعر الدرويشي من الشعر الذي يتغنى بالوجود بالهوية وبالوطنية إلى الشعر الذي يتغنى بالعدم :من انأ لأقول لكم هذا المسار من التحول يكشف عن سؤال الوجود المغلف بطابع القلق والتساؤل . هي الذات الدرويشية مابعد الحداثية التي غيرت رؤاها وتوجهاتها بحثا عن الحلول لقضيتها ولشعبها .

– استهدف الشاعر البنية العميقة من خلال لاتكاء على لغة الرمز والدلالة ليغلف شعره بطابع العمق.وليكون خادما للرؤى الفكرية والفنية للقصيدة الدرويشية وبذلك يكون قد انزاح عن السائد (التركيز على البنية السطحية)

– وظف الشاعر العديد من الأساطير التي تنوعت مصادرها (يوناني عربي ليحدث ما اسماه ميخائيل باختين بالحوارية حوار الأساطير وتداخلها للتعبير عن التجربة الفنية للذات الشاعرة ولوصف الواقع المرير للشعب .

الديوان لاريد لهذي القصيدة أن تنتهي جدلية الصراع بين الوجود والعدم . والرغبة في الاستمرارية الذات الفلسطينية التي تولد من العدم .تنبعث من الرماد كطائرالفينيق العنقاء.

– تميز الديوان الأخير بطابع الغموض وحمل بالرموز المشفرة والدلالات العميقة فكانت لغة الأسطورة لتترك مساحة الحرية للقارئ الذي ينهض لفك شفرات ذلك الخطاب في ضوء نظرية القراءة .

قائمة المصادر

والمراجع

أولا: المصادر:

- محمود درويش " لا أريد لهذي القصيدة أن تنتهي، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت لبنان.2009

ثانية المراجع:

- فراس السواح ، الأسطورة والمعنى دراسات في الميثيولوجيا والديانات المشرقية الأسطورة، منشورات دار علاء الدين 1992.

- فراس السواح، مغامرة العقل الأولى لـ دراسة في الأسطورة، سوريا وبلاد الرافدين، مكتبة الفكر الجديد ، دار الكلمة، دمشق، 1-1-1988.

- راضية بوبكري، الأدب والأسطورة: اعمال ملتقى الأدب والأسطورة، كلية الادب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باجي مختار، منشورات فجر الأدب العام والمقارن، عنابة، 2007.

- فاروق خورشيد ، كتاب الأسطورة عند العرب.

- كمال زكي ، الأساطير لأحمد ، دراسة حضارية مقارنة ،دار العودة، بيروت، ط2، 1975.تعريفها معتز نديم الحجل، أصلها تصنيفها، مجلة المعرفة، سوريا.

- لكلود لفي شتراوس، كتاب الأسطورة والمعنى ، شاعر عبد الرحمان دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق (دط)، (دت).

- محمد عجنية، موسوعة أساطير العرب عند الجاهلية دلالاتها، (د د ت) لبنان ، 1994.

- محمد علي السلايمي، كتاب الأسطورة في شعر المتنبي ، نقلا عن: محمد الامين بحري الأسطوري التأسيس والتجنيس والنقد، دار الأمان، الرباط، منشورات الأختلاف الجزائر، العاصمة، منشورات صفاف، بيروت، ط1، 2018.

- نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي ، دار غريب، القاهرة، 1991.

- نضال صالح، النزوع الأسطور في الرواية العربية المعاصر، منشورات إتحاد الكتاب العرب مصر(دط) 2001.

- نهاد خياطة،كتاب مظاهر الأسطورة لمرسيا إلياد، تر، ، دار كنعان للدراسات والنشر، دمشق،ط1، 1991 .

فهرس

المحتويات

فهرس المواد	الصفحة
الشكر	
الاهداء	
مقدمة.....	أ،ب،ج
الجانب النظري: خطاب الأسطورة قضايا ومفاهيم	
الأسطـورة عند الغرب.....	1
الأسطـورة عند العرب.....	2
نشأة الأسطورة	6
1. النظرية الدينية.....	6
2. النظرة التاريخية	7
3. الأسطورة التعليلية.....	9
4. النظرية الرمزية	10
5. النظرية النفسية	12
خصائص الأسطورة.....	13
وظيفة الأسطورة.....	16
الجانب التطبيقي: تجليات الأسطورة في ديوان محمود درويش "لا أريد لهذي القصيدة أن تنتهي"	
سيميائية العنوان لا أريد لهذي القصيدة أن تنتهي.....	20

تجليات الاسطورة في ديوان محمود درويش..... 22

1. أسطورة الخلق والتكوين..... 22

2. أسطورة جِلْجَامِش 29

3. اسطورة بروميثيوس..... 34

4. أسطورة أدونيس أو تموز..... 37

5. أسطورة أورفيوس..... 41

6. أسطورة زهرة النرجس "نرسيس"..... 45

7. أسطورة العنقاء..... 20

الخاتمة..... 52

قائمة المصادر والمراجع. 56

فهرس المحتويات..... 59

الملخص :

يتنـاول بحثنـا الموسـوم بـ:**"الخطـاب الأسـطوري في ديـوان "محمـود درويـش " لا أريد لهذه القصيدة أن تنتهي "**

حيث تطرقنا في مقدمة بحثنا إلى طرح الإشكالية التالية :

- **أين تكمل إشكاليات الأسطورة في ديوان محمود درويش ؟**

حيـث قسـمنا بحثنـا إلى فصـلين فصـل أول نظـري المعنـون ب" خطـاب الأسـطورة قضـايا و مفـاهيم "و الثـاني تطبيقـي المعنـون ب:" تجليـات الأسـطورة في ديـوان محمـود درويـش لا أريد لهذه القصيدة أن تنتهي "

وفي الأخـير أنهينـا بحثنـا بخاتمـة استخلصـنا فيهـا أهـم النتـائج المتوصـل و أهـم الأهـداف الـتي يرمي لها الديوان .

Summary :

Our research entitled: "The legendary speech in the collection of Mahmoud Darwish deals with "I do not want this poem to end."

In the introduction to our research, we addressed the following problem:

- Where do the problems of myth continue in the poetry of Mahmoud Darwish?

We divided our research into two chapters, the first of which is theoretical, entitled "The Discourse of Myth, Issues and Concepts," and the second is practical, entitled: "Manifestations of Myth in the Diwan of Mahmoud Darwish. I do not want this poem to end."

Finally, we concluded our research with a conclusion in which we extracted the most important results reached and the most important goals that the office aims to achieve